

بدءاً

تحاول **نوافذ** أن تضيف جديداً في إطار اهتمامها بتقديم آداب شعوب العالم وثقافته. خلال أعداد سابقة، عملت **نوافذ** على تقديم ملفات حول أدب معين، أو شخصية محددة، أو فن إبداعي لثقافة واحدة. وكم كان التحرير مبتهجاً، وهو يتلقى من مترجمي **نوافذ**، وقرائها ومتابعيها ردود أفعال إيجابية، تؤكد سلامة النهج، وترغب في المزيد منه. وهذا أمر جعلنا في التحرير نخطو خطوة جديدة، تتمثل في إصدار عدد خاص بكامله لثقافة واحدة، حرصاً على الشمولية، وتقديم مادة متنوعة تقترب من تمثيل تلك الثقافة.

ارتأت خطة **نوافذ** بدءاً من هذا العام، تخصيص عدد شهر يونيو/ حزيران من كل عام، ليكون عدداً خاصاً بثقافة معينة، قد يرتبط ذلك بلغة واحدة، وقد يتصل بواقع جغرافي واحد. ونأمل أن تكون ثقافة أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية، محور العدد القادم الخاص بثقافة واحدة.

عدد **نوافذ** الحالي يتصل بالأدب الأوزبكي، وهو أدب لا يمثل أوزبكستان الدولة، بل يمتد ليشمل عدداً من دول آسيا الوسطى. حرص التحرير على البدء بهذه الثقافة؛ لأنها ذات تميز وخصوصية، ولأنها، وهو أمر جدير بالاهتمام، ثقافة ليس لها حضور كبير في خريطة القارئ العربي.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

يحوي العدد مقالين يقدمان الأدب الأوزبكي؛ أحدهما عن فن القصة، والآخر يعرف بالشاعرة زولفيا. أما الإبداع القصصي والشعري، فيشمل عدداً من الأدباء الذين يمثلون مناطق جغرافية مختلفة، وفترة زمنية تمتد على مدى القرن العشرين. وهي مادة نأمل أن تمنح قراء **نوافذ** رؤية حول موضوعات الأدب الأوزبكي واتجاهاته.

أخيراً، نود أن نعرب عن تقديرنا للجهد المتميز الذي قام به الدكتور مرتضى عمروف، الذي تولى اختيار وترجمة هذا العدد بكامله، ونعبر عن شكرنا لعدد من الجهات التي ساهمت بالنظر في مادة العدد، وباركت هذه الخطوة، من خلال أساتذة ينتمون إليها. هذه الجهات هي جامعة طشقند للدراسات الشرقية، وجامعة طشقند الإسلامية، وجامعة الملك سعود / كلية اللغات والترجمة، وسفارة جمهورية أوزبكستان في الرياض.

أمنياتنا أن تكون خطواتنا هذه ذات قيمة ثقافية في عيون قرائنا من الجنسين، المهتمين بالانفتاح على ثقافات وآداب أرحب.

نشمن تواصلهم وآراءهم، وندعو للجميع بدام التوفيق.

رئيس التحرير

العدد الثامن والعشرون ربيع الآخر 1425هـ - يونيو 2004

28

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

فن القصة القصيرة في الأدب الأوزبكي واتجاهات تطوره

أ. نظام الدين محمودوف ود. قُرْدَاش قَهْرمانوف
Nizomiddin Mahmudov, Qurdosh Qahramonov

يتميز الأدب الأوزبكي في القرن العشرين عن الأدب الكلاسيكي بمجموعة من الأفكار والأهداف، وكذلك بأساليب التصوير الأدبي البويطقي. تجدر الإشارة إلى أن أدب هذه الفترة يعتبر أدباً واقعياً، إذ إنه يمثل نماذج أدبنا العريق الذي يعود تاريخه إلى أكثر من ألف سنة، وفي نفس الوقت يعبر عن التغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية.

إن التغييرات الاجتماعية السياسية التي جرت في تركستان في نهاية القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين، وخاصةً «حركة التجديد»، أدت إلى نشأة الأدب ذي النموذج الجديد.

وكذلك فإن زيادة العلاقات الأدبية التي حدثت في هذه الفترة، والتراجم من آداب شعوب الشرق والغرب، وطباعة الدوريات، كلها ساعدت على تكوين الاتجاهات الأدبية الجديدة، ونتيجة لتلك الإمكانيات الشكلية لأدب هذه الفترة، بدأ ينتشر فن المقالة والنقد الأدبي إلى جانب المسرحيات والأدب النثري.

ولقد أدى التوسع الفني في الشعر إلى تجديد أساليب الوصف، وكذلك أدى التعامل الجديد للرموز الشعرية مع واقعية الحياة إلى تبين إمكانيات الأوزان بشكل أوسع، إذ كان وزن العروض سائداً في الشعر الأوزبكي الكلاسيكي، وفي الشعر الأوزبكي في القرن العشرين احتل نظام وزن «البرماق»⁽¹⁾ مكاناً كبيراً.

وتعتبر نشأة فن المسرحيات والأدب النثري المكتوب من أهم نجاحات الأدب الأوزبكي في القرن العشرين.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

وكان للحاجة إلى المسرح والطلب الكبير له - أهمية خاصة في نشأة فن المسرحيات، وكان وصف الواقعية بالرموز الحيوية وبيانها قبل كل شيء من خلال الشخصيات دافعاً للإبداع الثري.

وفي بداية القرن العشرين جاء الإبداع الواقعي لمحمود خواجه بهبودي، وحمزة حكيم زاده نيازي، وعبدالله أولآني، وعبدالله قادري، وعبد الحميد جولبان وغيرهم من ممثلي الأدب الجديد تلبية لهذه الدعوة.

وتتميز بهذا الاتجاه قصص: «السعادة الجديدة» لحمزة حكيم زاده نيازي، و«المحب للنساء» و«في سباق الخيل» لعبدالله قادري، و«ضحية الجهالة» و«الدكتور محمد ديار» لعبد الحميد جولبان.

بلا شك، ليس لجميع هذه القصص كفاءة فنية عالية على حد سواء، لكونها أعمالاً أولى في هذا الاتجاه الأدبي، وفي هذه القصص تسود الدعاية على التكامل الأدبي، فمثلاً، في قصة قصيرة بعنوان «السعادة الجديدة» لحمزة حكيم زاده نيازي يُحكى عن شخص اسمه عبد القهار، يخسر جميع أمواله وأملاكه في القمار، ويترك أمه

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

العجوز وزوجته وأولاده، ويغادر إلى مكان مجهول، أما زوجته مريم فتربي ابنهما «عالم جان» وينشأ متعلماً مثقفاً رغم كل الصعوبات التي عانتها، و«عالم جان» بعد أن أصبح متعلماً ومثقفاً يمارس التجارة، ويحصل على وظيفة ويحسن حالة الأسرة الاقتصادية، ويساعد في تعليم أخته، ثم يجد أباه الذي تشرد في أطراف طشقند، ويأتي به إلى البيت. وخلاصة هذه القصة، أن «عالم جان» تعلم وبفضل العلم والمعرفة يحسن حالة الأسرة المأسوية، ويعبر المقطع التالي عن فكرة الكاتب:

«إن الله تعالى لا يظلم، فهو يعطي لجميع الناس، وقال الله تبارك وتعالى في كلامه عدة مرات ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾...»

إذن من المعلوم أن الشخص المتعلم سيأتي إلى السعادة، والجاهل لا يخرج من الرذالة».

كما نرى من هذا المقطع أن هناك دعوة إلى العلم والمعرفة قبل الفن. وكُتبت في هذه الفترة قصص مختلفة مثل قصة «المحب للنساء» لعبدالله قادري، و«ضحية الجهالة» و«الدكتور محمد ديار» لعبدالحמיד جولبان،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وفي قصة «المحب للنساء» يصرف ابن الرجل الغني أموال والده كلها بسبب جهالته، ثم يرتكب جريمة ويدخل السجن، أما قصة «ضحية الجهالة» ففيها يصف الكاتب كيف أصبح شاب مثقف ضحية للجهالة بتفاصيل خاصة. وبطل قصة «الدكتور محمد ديار» يرى العلم والمعرفة أداة أساسية في الكفاح ضد الجهالة، مثل ما كان في قصة «السعادة الجديدة»، وفي هذه القصة أيضاً تسود فكرة أن العلم والمعرفة يوصلان الشعب إلى السعادة.

وظهرت المحاولات الأولى في فن القصة القصيرة في الأدب النثري الأوزبكي الذي نشأ في بداية القرن العشرين، وكانت موضوعاتها الأساسية تعبيراً عن أفكار «حركة التجديد» كما كان الحال في الشعر والمسرحيات. وأهم ما يميز هذه القصص القصيرة أنها وضعت العلم والمعرفة ضد الجهالة. ونلاحظ ملامح تلك الدعاية في قصة عبد الله قادري أيضاً بعنوان «في سباق الخيل» التي يعتبرها النقد الأدبي عملاً متكاملًا في نوعها.

وتجدر الإشارة إلى أن «في سباق الخيل» هي قصة واقعية، وليست للدعاية، بل كان الفن الوصفي هو الذي أعطيت له الأولوية في هذه القصة، حيث تصف القصة

إحدى عادات شعبنا - سباق الخيل.

ويرى الكاتب أحداث القصة بعيون بطلها، ويصفها بلسانه من خلال مشاهد واقعية حيوية، ولكنه في نفس الوقت، يأتي بمشهد وفاة أحد الفرسان نتيجة حدث ما يدلّ على أن هناك شيئاً من الدعاية (في الحقيقة كان هذا الحدث صدفة)، ومع ذلك تبشر قصة «في سباق الخيل» ببداية الوصف الواقعي في فن القصة في الأدب الأوزبكي.

ودخل النشر الأوزبكي للعشرينات والثلاثينات مرحلة جديدة من الواقعية وذلك باتجاهاته الخاصة. وكتب الأدباء في هذه الفترة قصصاً نقدية ساخرة أيضاً وذلك إلى جانب القصص الواقعية.

وبدأ عبدالله قادري بمجموعتيه القصصيتين «من مذكرات كلواك مخضوم»، و«ماذا يقول طاشبولات تجانك؟» اتجاهاً جديداً في فن القصة النقدية الساخرة، وتقوم هذه القصص على أساس الإضحاح في ثوب نقدي ساخر، فعندما يصف الكاتب وجوه أبطاله الساخرة يلفت الانتباه إلى «ضحكة الشخصيات» كما عبّر عن هذا بنفسه، ويصف الأديب الواقعية بلسان أبطاله، وفي نفس

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الوقت يعطيهم الإمكانية ليكشفوا أنفسهم، من خلال ذلك يصنع مواقف مضحكة.

ويكشف هؤلاء الأبطال نواقص المجتمع «عمداً أو خطأ»، وهم يكشفون أنفسهم.

وكتب عبد الحميد جوليان في هذه الفترة قصصاً قصيرة عديدة أيضاً، منها «في الليالي المنيرة»، و«الزنبقة في غضون الثلج»، و«الفتاة الخبازة» إلخ؛ وكان الوصف في هذه القصص وصفاً واقعيّاً، والأحاسيس الروحية للأبطال متنوعة، ويتم عرضها بأساليب فنية أدبية. ويُوصف في هذه القصص سير التجاوز على الأحاسيس الإنسانية بسبب الرذالة المعنوية من خلال التحليل السيكولوجي، وذلك خلافاً لما كان في القصص الأولى. وفي قصة «الليالي المنيرة» يظهر كيف داس الزوج الرذيل والفاحش معنوياً على شرف العروس التي تزوجها قريباً؛ وفي قصة «الفتاة الخبازة» يغتصب (أولماس باي) فتاة خبازة ضعيفة، وأما في قصة «الزنبقة في غضون الثلج» فيسير الحديث حول زواج فتاة صغيرة جداً من الشيخ المسن لتكون الزوجة الثالثة له، وقد

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

أجبرها والدها على ذلك، وتُوصف هذه الظواهر بكل مآسيها ومرارتها.

وباختصار، كان من أهم خصائص فن القصة القصيرة للعشرينيات تنازل الدعاية الجافة عن مكانها لوصف الفني الأدبي والتحليل السيكولوجي.

واتسعت دائرة الموضوعات في فن القصة القصيرة في الثلاثينيات وتنوعت الشخصيات فيها، إذ انعكست فيها طبقات المجتمع المختلفة.

كما أن المبدعين الشباب الذين دخلوا في الحقل الأدبي في العشرينيات وتعلموا بشكل أساسي في العهد السوفييتي بدأوا نشاطهم الأدبي وساهموا مساهمة فعالة في الإبداع. ويجدر التأكيد على أن السياسة السوفييتية، وعلل تقديس الفرد (شخصية ستالين) (*)، وعمليات القمع، وتحويل الأدب إلى السياسة والدعاية، التي بدأت في نهاية العشرينيات ووصلت إلى قممتها في نهاية الثلاثينيات - أضرت بالأدب بشكل عام، وبالنشر الأدبي بشكل خاص ضرراً كبيراً، ونتيجة ذلك ابتعد فن القصة عن واقعية الحياة مثل الفنون الأدبية الأخرى،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ونلاحظ فيه مدح النظام السوفييتي والواقعية السوفييتية، ومحاولة إيجاد التعارض من خلال وضع العهد المعاصر لذلك الوقت ضد الماضي. ودخلت هذه الفترة إلى تاريخ السوفييت السابق كفترة «تصنيع الاقتصاد»، و«تنظيم التعاونيات الزراعية»، و«إقامة الثورة الثقافية». ومن المعروف أن تطبيق هذه الشعارات كان كخبط العشواء، فقد جاء بمأس كثيرة أثقلت كاهل الشعب. أما الأدب مثل الإعلام الذي يقوم بدعاية الإيديولوجية السوفييتية فبدأ يمدح «النتائج الإيجابية» كأنها جاءت نتيجة تنفيذ تلك السياسة. وكتب الأدباء في مؤلفاتهم أن ممثلي الكادحين والعمال العاديين وجدوا سعادتهم في الحياة الاشتراكية، وهم يقظون وحذرون تجاه أعداء الشعب وأعداء طبقة العمال، وكتبوا عن هذا كأنه حقيقة نهائية مهما كان ذلك كذباً وافترافاً. وتتميز بهذا الاتجاه القصص القصيرة مثل: «انتقل الاسكافي»، و«كان مرحاً»، و«الراعي»، و«العجوز رضوان» لآيدن، و«الراديو»، و«الشاب المريض»، و«الأصوات الأخيرة»، لحسين شمس، و«الانتقام» لشاكر سليمان، و«الشاب

المشهور» لـ ماجد فيضي.

وفي هذا العهد كتب الكاتبان البارزان عبدالله قهار وغفور غلام عدداً من القصص القصيرة. وواصل الكاتبان في إبداعاتهما تقاليد العشرينيات، أي كتابة القصص القصيرة الواقعية والنقدية الساخرة، ومع ذلك يسود في أعمالهما الروح الاجتماعية.

وتشكل حركة «كشف الأعداء الطبقية»، و«تنظيم التعاونيات الزراعية»، و«محو الأمية»، و«تحرير المرأة»، التي كانت تنفذها الحكومة السوفيتية السابقة موضوعات رئيسية في أعمالهما النقدية. وتعتبر القصص القصيرة لغفور غلام بعنوان «جورابوزا»، و«الطفلة»، و«الشاب»، و«الميت الحي»، والقصص القصيرة لعبدالله قهار «المرأة التي لم تأكل زيباً»، و«العاشق»، و«المنافق»، و«القوميون» من ضمن تلك القصص.

وتتميز القصص القصيرة التي كتبها غفور غلام بطبيعتها الناقدة ونغمتها الفرحة، ونلاحظ النغمة الفرحة في قصته القصيرة بعنوان «الميت الحي»، والتي تُعد

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

قصة ساخرة تماماً، ففيها يتحول بطل القصة «ملاً ماماجان» الذي كان كسولاً أكثر من «أبي تنبل»، إلى فلاح نشيط من خلال عمل جماعي مستمر. ويبالغ الكاتب عندما يصف طبيعة بطل القصة كما هو في نماذج الفولكلور، ويعبر عن كسله بالمواقف المضحكة، وهذا يسبب إيجاد إحساس فرح عند القارئ، وفي نفس الوقت هناك فكرة أن العمل يؤدي بالإنسان إلى التكامل.

وفي قصة «الشاب» يعترف بطل القصة لكل فتاة يراها بالحب، وأخيراً يقع في موقف مضحك.

وفي هذه الفترة يبدع عبدالله قهار بمردود وفير، ونال لقب «القاص الماهر» عن قصصه القصيرة التي كتبها في نفس الفترة، وتنقسم قصص عبدالله قهار بأسلوبها الوصفي إلى اتجاهين رغم أن الموضوعات فيها متنوعة، والاتجاه الأول عبارة عن قصص قصيرة واقعية، أما الاتجاه الثاني فتشكله قصص قصيرة نقدية ساخرة، وتنتسب القصص القصيرة للأديب بعناوين «اللس»، و«المريض»، و«الرمان»، التي كُرسَت موضوعاتها للحياة في الماضي، وكذلك القصص القصيرة الأخرى ذات المواضيع المعاصرة مثل «مستان»، و«فتح بصر الأعمى»

- إلى الاتجاه الثاني، ولكن الكاتب يستفيد من عناصر السخرية والنقد في وصف طبيعة بعض الأبطال في هذه القصص، كما وصف شخصيات «إيليك باشي» (*)، و«مينك باشي» (*)، و«الحاكم» في قصة «اللس» وشخصية «قورباشي» (*) في قصتي «الطفلة» و«فتح بصر الأعمى».

عندما يكتب الكاتب في الموضوع التاريخي فإنه يستخدم تفاصيل مختصرة وهو يصف فواجع عهده، ففي قصة «اللس» يُسرق ثور الشخص المسن الفقير «قابل بابا»، وفي قصة «الرمان» لا يستطيع «تراب جان» أن يحضر رماناً لزوجته الحامل، ويضطر إلى أن يسرق، وفي قصة «المريض» لا يستطيع «ساتب آلدي» أن يجد إمكانية لعلاج زوجته المريضة، وتعتبر هذه النقط من ضمن تلك التفاصيل.

ويصف الكاتب بمهارة فواجع الماضي هذه بتفاصيل مختصرة في القصص القصيرة، ولكن، من أهم نواقص القصص القصيرة المكرسة لهذا الموضوع - أي موضوع الماضي - أن الكاتب يصف الماضي بالألوان السوداء فقط، ويرفع المعارضة إلى درجة المعارضة التطبيقية،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

وأبطال قصص «الرص»، و«المريض»، و«الرمان» هم ممثلو الشعب والكادحون وهم ضعفاء، أما القوى المعادية لهم فهم الرجال الأغنياء، والحاكم، والقاضي، و«مينك باشي»، و«إيليك باشي» إلخ، ويخالف وصف حياة الماضي بهذه الطريقة الحقيقة التاريخية، وأنه جاء نتيجة سياسة الثلاثينيات. وكان الكاتب مجبراً على أن يتحاسب مع إيديولوجية عهده، وتصنع المواقف الساخرة الكاشفة على أساس القصص القصيرة النقدية التي كتبها عبدالله قهار في هذه الفترة، ويعتبر ملاً نارقوزي في «المرأة التي لم تأكل زيبياً»، وباقي جان بقايف في «معلم الآداب»، والفنانون في قصة «الفنانين»، وحرمت جان في «الفتيات» شخصيات ساخرة من هذا النمط.

ويقع «ملاً نارقوزي» في حالة حرجة عندما يتحدث عن أنه رأى بنفسه كيف أخذت بنت ذات اثنتي عشرة سنة زيبياً من ابن «أستى مولان»، أما باقي جان بقايف، وهو معلم الآداب، فيحول الحديث دائماً إلى مواضيع أخرى لإخفاء جهله عندما لا يستطيع أن يجيب عن أسئلة أخت زوجته، وبذلك يكشف نفسه أمام القارئ ويظهر أنه لا يعرف شيئاً.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

وباختصار، فإن عبدالله قهار يعتبر أديباً ساهم في تطوير فن القصة القصيرة الأوزبكية في الثلاثينيات بإبداعاته في الاتجاهين.

وفي سنوات الحرب ضد الفاشية (1941-1945م) يصبح موضوع حب الوطن موضوعاً رئيسياً في الأدب الأوزبكي بشكل عام، وفي فن القصة القصيرة بشكل خاص، وتُوصف أفكار الحب للوطن والنفرة ضد العدو بأشكال وتفاصيل أدبية مختلفة.

في قصة «شرف الأم» لحמיד عالم جان، وفي قصة «أسرار بابا» لعبدالله قهار يُحكى عن مصير الناس البسطاء الذين ناضلوا بعملهم ونشاطهم ودعايتهم في الجبهة الداخلية. وفي قصة «شرف الأم» نلاقي شخصية الأم التي سلّمت للإدارة العسكرية ابنها الذي هرب من الحرب خوفاً على حياته، وفضلت موت ابنها الخائن لوطنه، ونرى أن شخصية الأم مليئة بإحساس حب الوطن.

ونلاقي مشهداً آخر في قصة «أسرار بابا»: أستاذ (يادغار) ابن «أسرار بابا» في الحرب، وجاءته

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

رسالة تعزية، أما أسرار بابا فيخفي هذا الخبر المشؤوم عن زوجته، وتخفي زوجته التي سمعت هذا الخبر عبر الهاتف صدفه عن زوجها، وهي تخاف عليه...

ودمج الكاتب في ضوء هذه الأحداث إحساس الوطنية العالية مع إحساس الإنسانية العميقة. والأهم، أن الكاتب يعبر عن هذا الإحساس من خلال اللوحات الطبيعية والعناصر الوطنية الحيوية، وليس بالأسلوب التقريري.

ونلاحظ أن حس النفرة ضد العدو بطريقة أو بأخرى انعكس في قصص قصيرة أخرى مثل «اتصلت العجائز بالهاتف»، و«النساء» لعبدالله قهار، و«مستان بيبي» لسيد أحمد، و«في قلبه شعلة»، و«جاءت شيرين» لآيدن. ويعرض أبطال هذه القصص أفكار نضالهم ضد العدو من خلال نشاطهم العملي، إذ إن الشعب الأوزبكي كله اشترك في النضال، فالنساء والشيوخ والعجائز والأطفال ساهموا في تحقيق النصر بعملهم، لأن كلاً منهم كان يعمل أثناء الحرب عمل الشخصين أو الثلاثة، هذه هي الحقيقة الحيوية التاريخية.

في فترة ما بعد الحرب، وخاصة، في الستينات وصل فن القصة الأوزبكية إلى مرحلة جديدة، فبعد وفاة (ستالين)، الذي كان يعتبر «زعيم كل الشعوب والأزمنة»، انكشفت علل تقديس الفرد (شخصية ستالين) المنتشرة في كل البلاد، كما أن استنكار شخصية «ستالين» في المؤتمر العشرين للحزب فتح طريقاً لحرية الإبداع، ونتيجة ذلك بدأت تأخذ شخصية الإنسان مكاناً رئيسياً في القصص القصيرة لهذه الفترة، وأصبح عالمه الروحي يُوصف بشكل أوسع

وفي نهاية الخمسينات وبداية الستينات نشرت قصص قصيرة عديدة، ومنها «ألف حياة وحياة»، و«الدهشة» لعبدالله قهار، و«أيها الولد اللص» لغفور غلام، و«الغرانيق» و«الأمهات» و«الكنز» لسيد أحمد. وتتميز «الدهشة» لعبدالله قهار، و«أيها الولد اللص» لغفور غلام من بين هذه القصص القصيرة.

ويحكي في قصة «الدهشة» كيف رضيت أونسن الزوجة الشابة، وهي السادسة لعالم دادخاح، أن تذهب إلى المقابر في منتصف الليل، وأن تغلي الشاي لكي

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

تتخلص من زوجها الظالم، وفي النهاية تلاقي مصرعها، وفي الحقيقة وصلت القصة إلى درجة الاتهام لتلك الفترة. وكانت أحداث «أيها الولد اللص» لغفور غلام في السنة السابعة عشرة⁽²⁾ من القرن العشرين، وتحكي القصة من خلال الحدث العادي أوضاع تلك الفترة الصعبة بشكل يؤثر على القارئ، ويبدأ الحديث بين اللص الذي استلقى على حافة السقيفة بعد منتصف الليل والعجوز التي ترقد بين أحفادها الأيتام. واللس ليس لساً في الأصل، وهو رجل عادي اضطر إلى أن يدخل هذا الطريق ليجد شيئاً يساعده لإعالة أسرته في الظروف المعيشية الصعبة بسبب صروف الدهر، والعجوز تقضي الليالي ساهرة، وهي تهتم بمستقبل الأيتام، وغموم كليهما وهمومهما وآامهما متساوية، ولذلك يتحدثان ويدردشان من صميم القلب. فإن هذا الحديث طبيعي وحيوي، ولذلك تبقى الشخصيتان في ذاكرة القارئ.

وتطور اتجاه التفكير في فن القصة الأوزبكية للمستينيات والسبعينيات إلى جانب الوصف الواقعي، وي طرح الأدباء في أعمالهم المسائل المعنوية والأخلاقية ويقومون بالتحليل السيكولوجي للأمور المعقدة المتضادة،

ونذكر كنماذج الأعمال في هذا الاتجاه قصصاً مثل: «الوداع» لعادل يعقوبوف، و«العزلة»، و«الأخ الكبير» لسعيدة ذوالنونوفا، و«الحياة اللذيذة» لبيريمقول قادروف، و«في ضوء القمر» و«صاحب الجواد» لشكور خالميرزايف، و«الضحية الأخيرة للحرب» لأوتكر هاشيموف، و«الشرف» لأولماس عمربيكوف، و«الصيد» و«الصقيع» لأوجقون نظروف.

وتحكي قصة «العزلة» عن القضية الاجتماعية عبر المرأة التي تفضل العلم على الأسرة، وتترك وتنسى واجبها العائلي، ومن ثم تعاني آلام وعذاب العزلة والانفراد؛ أما قصة «الضحية الأخيرة للحرب» فتصف فاجعة الابن الذي كان سبباً في قتل أمه بغير إرادته.

وتكسب قصة «الوداع» لعادل يعقوبوف أهمية خاصة، وتعبر عن القضية الاجتماعية والأخلاقية، وهي تعامل الأب والابن، والأستاذ والطالب بصورة دراماتيكية. وتبين القصة كيف يجرؤ «نادر» الابن على أن يترك أباه - «الأستاذ المسن» - الذي كان في فراش الموت، وأن يغادره وينسى واجب الابن نحو أبيه، ويبرر

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

تصرفه هذا بالمحافظة على عمله في رسالة الدكتوراه، هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى تبين كيف يحصل الطالب «عبدالله جان» على رضا الأستاذ ودعائه وهو يقف بجانبه ليلاً ونهاراً. وخلاصة ما يرمي إليه الكاتب «أن الطالب الشريف أفضل من الابن العاق المجاهد» وقد وصف هذه الفكرة بصورة تؤثر على القارئ.

إن الظواهر السلبية التي حدثت في حياة المجتمع في السبعينات مثل «الكساد»، و«الوساطة»، و«القرابة» في كل شيء، أضرت بفن القصة وعرقلت تطورها، ومع ذلك فهناك عدد كبير من الأعمال التي وصلت إلى القمة الأدبية بأساليبها في الوصف الواقعي.

وتبين هذه الحالة في القصص القصيرة التي كتبت في بداية الثمانينات حول الموضوعات التاريخية، فقد بدأ الكتاب يبدعون في إبراز شخصيات مثل «المقنع»، و«ابن سينا»، و«بابور» وغيرهم من الأعلام التاريخية. ويدلّ هذا على أن الشعب الأوزبكي يسعى لإنعاش تاريخ أجداده.

ومن هذه الجهة كرّس أنور إيشانوف قصتيه «الزهور البيضاء»، و«عندما تشرب الغزاة ماء»، وخيرالدين سلطانوف قصته «عندما يغيب القمر» لشخصية «بابور»، وكرّس ميرزابولات تاشبولاتوف قصته «الأمواج غير الهادئة» لـ «المقنع»، وكتب علي شير إبادينوف قصته «الشمس نار أيضاً» عن القبائل التركية القديمة، وكتب طاهر مليك في قصته «ماء الحياة» عن ابن سينا.

وفي نهاية السبعينات وبداية الثمانينات جاء إلى ساحة الأدب عدد من الكتاب الشباب، ونلاحظ في إبداعاتهم عناصر الوصف الجديد، ومنهم: خيرالدين سلطانوف، وإيركن أعظموف، وعالم آتاخانوف، وأحمد أعظم، وأبو سعيد كوجيموف، وغفار خاتموف، ومراد محمد دوست، وطاغي مراد وغيرهم من الكتاب والأدباء، ومن خصائص إبداعات هؤلاء الكتاب والأدباء أنهم يقومون بالغوص في أحداث زمانهم مثلما فعل الأدباء قبلهم، ويلاحظ استخدام مختلف أنواع الوصف الأدبي ومنها الألوان الرمزية، وتدلل هذه الحالة على ظهور الاتجاه الجديد - وهو الشوق إلى تنسم رياح الاستقلال.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ونأمل أن يكون الاستقلال عاملاً يُغني الأدب الأوزبكي
بالمواهب الجديدة، ويصعد به إلى القمم الأدبية العالمية،
ونحن واثقون من ذلك.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الهوامش

1) وزن مستحدث لنظم الشعر، وكانوا ينظمون على أوزا العروض العربية.
* إضافة من المترجم.

* مسؤول صغير في السلطة المحلية مثل عمدة الحي.

* مسؤول في السلطة المحلية مثل عمدة القرية.

* قائد فصيلة مسلحة فدائية في حركة تحريرية في تركستان في بداية القرن العشرين.

2) حدث في هذه الفترة انقلابان في روسيا، الأول في فبراير 1917م حيث جاءت إلى السلطة الحكومة المؤقتة بعد تنازل القيصر الروسي عن الحكم، والثاني في أكتوبر 1917م عندما استولى الشيوعيون على الحكم في روسيا. (المترجم).

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ، يونيو 2004

الصور التي رسمتها زولفيا

مشرب بابايف
Mashrab Boboyev

أن يكون الإنسان من لدات الربيع شاعراً فهذا شيء لا يتعجب منه أحد، إنه شيء طبيعي.
ولكن أن يكون شاعراً يحبه الشعب ويحترمه، فهو نصيب لا يهديه الله تعالى إلا للقليل.
والسيدة زولفيا لها هذا النصيب، وقد كتبت تقول:
نلتُ حب الشعب، واشتهرت في الشعب،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وللشعب حق إن قال عني امرأة سعيدة...

نعم، السيدة زولفيا امرأة سعيدة، وشاعرة سعيدة.
طيب، ومن هي بنت الشعب الأوزبكي تلك التي
تسمى زولفيا؟ وما هي سعادتها؟
زولفيا شاعرة أنشدت شعرها ليس في أوزبكستان
فقط، بل في منابر مؤتمرات عديدة في العالم.
زولفيا مترجمة جعلت شعراء كثيرين جداً مثل
بوشكين، ونيكرا سوف، ومستي كريم، وقيسن قوليف،
وسلوى كبوتيكيان وغيرهم يتحدثون بالأوزبكية.
زولفيا سيدة عالمية شاركت بمساهمة فعالة في
توحيد كتاب بلدان آسيا وأفريقيا، واجتهدت ليكون هذا
الاتحاد قوة كبيرة.
زولفيا رئيسة تحرير مجلة «السعادة» التي كسبت
أهمية خاصة في الثقافة الأوزبكية وفي حياة المرأة
الأوزبكية، وهي سيدة اجتماعية في سنوات طويلة،
لكونها نائبة المجلس الأعلى - عضوة البرلمان - التي
ساهمت في تحسين حياة الشعب.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

زولفيا أستاذة مهتمة، مسكت بأيدي فتيات
كثيرات وأتت بهن إلى رحاب الأدب، وعلمتهن، وهي
أستاذة بلا طمع، ولكنها شديدة.

زولفيا متحدثة عالمة وحساسة وذكية.

زولفيا أم مهتمة وجدة حبيبة...

ولكن هناك شيء مهم وغريب...

تصوّروا شجرة صغيرة في قمة نموها، ثم تصوّروها
وقد ضربها البرق وخرقها، وهي سوداء وعريانة، وإنكم
تعرفون كم هو صعب أن تعود تلك الشجرة «شجرة» من
جديد.

لم أذب من حبك

كي لا أحرم من سعادتك،

أحترق ولا أنتهي

كي أبقى معك...

لقد عانت السيدة زولفيا فاجعة تلك الشجرة
الصغيرة، ووُلدت من جديد، ونالت جميع درجات الاحترام
في أيامنا هذه بعد «ولادتها الجديدة» الباسلة، وما هي

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

القدرة التي يجب أن يملكها الإنسان لكي يستطيع أن يخرج من هذه الحالة!

وتعرض السيدة زولفيا تلك القدرة بجمالها الظاهري والباطني، بدرائتها، وحبها وموهبتها طوال حياتها.

وطبعاً، معروف من أين أخذت السيدة زولفيا هذه القدرة:

يا أيها المواطن، أنت سعادتي!

لا الغناء، ولا الحياة كاملة بدونك.

وسمّيت السيدة زولفيا أحد أشعارها بعنوان «الصورة التي لم أستطع أن أرسمها»⁽¹⁾. هناك مثل لدى شعبنا يقول: «إن للتواضع كمالاً». علاوة على ذلك يعيش الفنان دائماً بحس عدم الرضاء من عمله. وتبحث الشاعرة الأستاذة ذات الخبرة دائماً عن «ما هو لون الجسارة؟» و«أية كلمة تشير إلى الذكاء؟» ولكننا نرى صوراً متعددة الألوان للحياة وحالة الإنسان.

وها هو بعض منها:

في المهد رضيع مثل السحاب...

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ويستلقي القمر في النهر
مثل سيوف الفرسان...

لم أمسك أبداً
آثار السحاب
لو بقيت هنا كأنها
تغسل وجهي صباح مساء.

وكانها تغطي رقبتني
مثل الشال الحريري.
وكانها تعطي ناي السماء
وأجنحة الرياح لغنائني.

وكانها تعطي أشعة الشمس
بكفيها لأشرب.
وتخيط بدلة لي من قوس السماء

وتلبسني إياها...

وهل الصور قليلة في كنز إبداعات زولفيا؟
لقد أراها حميد عالم جان(*) - شاعر هذه البلاد -
الأستاذ الحساس مصدر هذه الصور الملونة قبل أن
يتوفى. والألوان لتصوير هذه الصور أيضاً هناك، في
نفس المصدر.

والأمسيات الجميلة تدخل بالألوان،

مثلما يفتنني ضوء الفجر الأبيض...

وهذا الكون الجميل وهذا المكان الجميل هو
الطبيعة، ولكن ليس كل وصف جميل نموذجاً للجمال،
وتكتسب عناصر الطبيعة جمالاً حقيقياً عندما تكون
«حية»، وعندما «تتحرك». والصور التي رسمتها
السيدة زولفيا - وكل صور ومشاهد وطننا أوزبكستان
مثلها - حية و تتحرك، لأنه:

يجري نهر الناس بجانبني

وأنظر:

أعرفهم كلهم كلهم.

ولا أعرف أسماءهم وأعمالهم
ولكن
أعرف أن لكل منهم سعيًا عظيمًا:
ويسرع كل منهم إلى وقت أجمل من اليوم
لكي يأتي بغد إلى اليوم.
ويفتح صفحة جديدة في كتاب الظفر
لم يرها التاريخ بعد في الحياة.

(كتبت الشاعرة هذه القصيدة منذ زمن بعيد -
أكثر من أربعين سنة. ولكن، ألا تأتي هذه السطور
بمشاهد اليوم أمام عيونكم؟ ألا تعكس الحركة فيها حركة
ناس اليوم، ونشاط ناس البلاد المستقلة؟ هذا مثال
صغير جداً على أن العمل الإبداعي الجيد لا يصبح قديماً،
ويبقى دائماً ملحاً...).

والكنز الإبداعي للسيدة زولفيا - «فلاحة القلم»،
كما اعترفت بنفسها متواضعة، - هو عالم ذو أسرار:
ليس له حدود، وليس له... وتدخلون هذا العالم
وتتمشون فيه وتضيعون، ولكن لا تفكرون بالخروج منه،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ستسحركم في هذا العالم مشاهد الدنيا وأحوال الإنسان التي كشفتها الشاعرة وهي تتجول في بلادها وفي العالم، ويحضركم ذلك السحر في العالم إلى فرغانة الجميلة ويأخذكم إلى مصر البعيدة، ويأتي بكم إلى عالم الهند الأسطوري، والحفلات الممتعة فيها، ويعرّفكم على الممثلين البارزين للثقافة العالمية، وفي هذا العالم ترون العلاقة العضوية الأزلية بين الجمال والخير وبين الشر، وتتأكدون أنه لو لم يكن الربيع والصدقة والمهنة والمساعدة والحلم... «لاكتشفها الإنسان بنفسه، مثلما تكتشف السعادة».

ولا ينحصر الكنز الإبداعي للسيدة زولفيا في جواهر الشعر فقط، بل إن لديها ترجمات ذكرناها أعلاه، ومقالات عن مواطنينا، وعن إبداعات الشعراء المعاصرين لها، وكذلك أوبرا «زينب وآمان» وهي حدث كبير في حياتنا الثقافية من جهة، ومن جهة أخرى إحياء لذكرى الشاعر الأستاذ حميد عالم جان... وباختصار، سوف تجدون كل ما تحبون، وسوف تشعرون بالرضاء والافتناع. ولكنكم ستشعرون بشيء آخر، وهو أن الشاعرة

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

التي تهديكم هذه اللذة تعيش بنفسها قلقه في خوف
غريب:

لا تسرقوا قلبي ذات يوم،

لا تجعلوني بكماء وعرجاء...

وكذلك ستأكدون أن الشاعرة التي تهديكم هذه
اللذة هي إنسانة عانت كل متاعب الحياة والإبداع،
ولكنها لا تشكو من عمرها الذي عاشته مهما كان فاجعاً
ومليئاً بالمشقة، وتستنتج الخلاصة الإنسانية العادية
الخاصة للبت المسلمة:

تركت الأسف على عمري الذي عشته

ولا أرجو مثل عمري لأحد:

أحببت،

وترفهمت،

وفقدت،

وعانيت،

وعرفت ما هو الاحترام،

وهذه هي الحياة الواحدة!

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

وفي الحقيقة، ماذا يحتاج الإنسان زيادة عن ذلك؟
ولكنّ للشاعرة رجاء ملحاً آخر، ولو بدا هذا الرجاء
شيئاً زائداً بالنسبة لشاعرة مثل زولفيا، ولكنه يقتضي
من الإنسان العالم ألاّ يستثنى أي حال من الأحوال في
حياته:

حبي الحار،

ولحني،

وجسمي البارد،

يا وطني، أرجو ألاّ تحرمها من أحضانك!

هذه الكلمات يمكن أن تكون قدوة للجميع، وهي
سعادتنا السامية ونيتنا العالية. اللهم لا تحرمنا جميعاً
من نعمتك هذه!

ويعرف شعبنا احترام أبنائه وبناته الأحبة وتكريمهم،
وكان تكريم إحدى بناته المحبوبات - منح زولفيا شاعرة
الشعب وسام «الصدّاقة» وهو أعلى وسام في بلادنا
المستقلة - احتفالاً كبيراً للشعب.

وُلدت السيدة زولفيا في بداية الربيع، والربيع

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

ينتظره ويستقبله الناس بالفرح من بين فصول السنة، لأن
هذا الفصل يأتي بهواء جديد، وبحياة جديدة.

أنت بنتي تنمو كل يوم

أنت فرحتي أحياناً، وغضبي حيناً آخر.

وانتصاراتي في العمل، وآلامي بلا دواء،

كأنني أنتظر رسالة من الصديق، ومن الحب

أغني عنك، يا أيتها الحياة!

الهوامش

(*) زولفيا - Zulfiya (1915-1999م). وُلدت زولفيا في طشقند، ودرست في معهد البنات 1931-1934م، ثم درست في الدراسات العليا في معهد بوشكين العالي للغة والآداب في أكاديمية العلوم في أوزبكستان في 1935-1938م، ثم اشتغلت في دار النشر للأطفال ودار النشر الحكومي بوظيفة محررة، ورئيسة قسم، وأخيراً اشتغلت رئيسة لهيئة التحرير في مجلة «السعادة» النسائية من عام 1953 إلى 1980م.

واشتهرت زولفيا كشاعرة بنشر مجموعتها الشعرية الأولى «أوراق الحياة» (عام 1932م) وكانت في السابعة عشرة من عمرها. ثم نشرت مجموعات

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

شعرية أخرى منها «قصائد»، و«أناشيد البنات» عام 1944م، و«جارجوي - قونغرات» (1947م)، و«يوم في الحقل» 1948م، و«الفتاة الطبية البيطرية» (1952م)، و«أغنية الصباح» (1953م)، وكذلك قصائد ومجموعات شعرية «إني أغني للصباح»، و«الناس الأعزاء على قلبي» (1958م)، و«أغاني لك» (1965م)، و«السلام عليكم يا أيتها الشعوب المحبة للسلام»، و«يا بني، لن تكون الحرب أبداً».

وكتبت قصائد ومقالات «يسأل شعري عن الشاعر»، و«آيدن»، و«القلم ذو الشمس» مكرسة لذكرى أساتذتها حمزة حكيم زاده، وآيدن، وآيبك، وحميد عالمجان. وكذلك كتبت زولفيا على أساس قصيدتي «سيمورغ» و«زينب وآمان» لحميد عالمجان مسرحية وأوبريت.

وترجمت قصائدها إلى الروسية، والإنجليزية، والألمانية، والهندية، والعربية، والفارسية ولغات أخرى. وقامت زولفيا بترجمة مؤلفات نيكروسوف، وليرمونتوف، وشتشيباتشيف، وإنبير، وأكرائكا، وديلبازي، وأمريتا بريتام إلى اللغة الأوزبكية.

نالت زولفيا جائزة الدولة باسم حمزة عن مجموعتيها الشعريتين «خواطر»، و«الشلال»، وجائزة الاتحاد السوفياتي عن كتابها «المختارات»، وكذلك حصلت على جائزة جواهرلال نهرو الدولية، و«نيلوفر» الدولية عن إبداعاتها ونشاطها في حركة أدباء بلدان آسيا وإفريقيا. ومنحت زولفيا عدداً من الأوسمة العالية في الاتحاد السوفياتي وأوزبكستان. (تعريف من المترجم).

1) نشرت «نوافذ» قصيدة زولفيا هذه في عددها الثاني عشر الصادر في صفر 1421 الموافق مايو 2001 هـ، ص 155-160. (المترجم).

* حميد عالمجان - الشاعر الأوزبكي المعاصر المشهور، وهو زوج زولفيا، توفي في عام 1944م. (المترجم).

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

الجميلة

جولبان (*)
Chulpon

أنظر إلى السماء في الليلة القائمة

أسأل عنك أزهى النجمات

(* عبد الحميد سليمان أوغلي يونسوف (1897م - 1938م) أحد الممثلين البارزين للأدب الأوزبكي، وُلد في أنديجان، نشرت له مجموعات قصصية عديدة، منها «أسرار الصباح»، و«النهضة»، و«الينابيع»، ومجموعة شعرية «ساز» (الآلة الموسيقية)، ورواية «الليل والنهار» (1936م) ومسرحيات «خليل إفرنجي»، و«عصيان الخادمة»، و«الرفيق قرشيبايف»؛ وقام بترجمة قصص غوركي «الأم»، و«بوشكين» «دوبروفسكي»، و«باريس غادونوف»، و«شيكسبير» «هامليت». وقع = ضحية سياسة القمع،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

تخجل تلك النجمة وتحني رأسها
وتقول: «أراها في حلمي...»
أراها في حلمي، ما أجملها
أجمل من النجوم، وأجمل من الهلال!»

أوجه عيوني إلى جهة الهلال
أسأل الهلال عنك
وهو يقول: «لقيتها في حلمي
وجهها الأحمر، وخمارها الأبيض
وبالأبيض جميلة، أجمل من الهلال
أجمل مني، وأجمل من النهار!..»

تنشر نسائم الصباح شعرها

وقمر بجاني، وأسألها عنك

واعتقل عام 1937م، وحكم عليه بالإعدام، وتم تنفيذ الحكم عام 1938م،
وأثبتت براءته عام 1956م.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

تقول: « رأيتها مرةً، وضِيَعْتُ طريقي
وأبحث عنها بين التلال والجبل
رأيتها مرةً، ما أجملها
أجمل من الهلال، وأجمل من النهار!.. »

هي تغادر ويشرق النهار، يوزع نوره
وأسأل النهار عنك
وهو يهرب ويختفي من الخجل
ويقول: « رأيتها مرةً، وليس في حلمي،
رأيتها في الواقع، ما أجملها
أجمل من الهلال... وأجمل مني!... »

أحببتك أنتِ وأنا المسكين؟!
أحببتك، وأتحرق شوقاً لأجلك،
وأخذت على عاتقي عملاً صعباً

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

وأنا أحببت... أحببت.. أحببت من؟
أحببتك، يا حبيبتي، ما أجملها،
أجمل من الهلال، وأجمل من النهار!..»

1919م

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

لا ينتهي القلب

إركين وحيدوف (*)
Erkin Vahidov

لا ينتهي ديوان الشعر

في مدح المرأة في العالم

لأن العشق لا ينتهي،

ولا تنتهي الرغبة المكبوتة في الحب

(*) أبرز الشعراء الأوزبك المعاصرين، ولد في فرغانة عام 1936م، نشرت مجموعته الشعرية الأولى عام 1961م، ومنذ ذلك الوقت نشرت له أكثر من ثلاثين مجموعة شعرية، منها «أغاني لك»، و«القلب والعقل»، =

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

كم كتب حافظ وسعدي ونوائي شعراً، ولا تَقُلْ
ماذا بعد؟ ولا ينتهي شعر شعراء الزمان

وإذا كان الشعر ميداناً لإظهار العشق
والفرسان في الميدان كثيرون، فلن ينتهي السباق

لا ينتهي التصنع والدلال عند أهل الجمال
ولا ينتهي الأنين والآهات عند أهل الحب

كل ما يحترق ينتهي، ولكن يا للعجب،
فالقلب لا ينتهي، وهو يحترق دائماً بنار العشق.

* * *

= «الكواكب الحية»... قام بترجمة شعر يسينين، وأوكرائكا، وسفيتلوف،
وبلوك، وحمزاتوف، و«فاوست» لجوته إلى الأوزبكية. عمل رئيساً لهيئة
تحرير ومدير دار النشر للطباعة «ياش غوارديا»، دار النشر والطباعة بسم
غفور غلام، وترأس مجلة «ياشليك» («الشبيبة»، وهو الآن رئيس اللجنة
في المجلس الأعلى - برلمان أوزبكستان ورئيس اتحاد أدباء أوزبكستان.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

قصائد من «دفتر الحج»

عبدالله عاربوف (*)
Abdulla Aripov

الحجاج

إن الحلال مطلب سام في الإسلام

والهدى هو تاج التقوى للمسلم

(*) وُلد في قاشقداريا عام 1941م، نشر أول مجموعة شعرية له عام 1965م، «النجمة الصغيرة»، ثم نشرت مجموعات شعرية كثيرة له، منها «الأم»، و«الذكريات»، و«قلعة النجاة»، و«دفتر الحج» إلخ، يعمل = =

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

ذات يوم تدخل الشيطان بين الناس
وسرق حاج محافظة حاج آخر
وهذا حاج مسن من بلد ما
فَقَدَ كل ما كان يملكه
ماذا يفعل؟ إنه يقف بلا حول ولا قوة،
الشكر في قلبه، والدعاء على لسانه

أما الحاج السارق فمسرور بما عمل،
ها هو يسجد في الحرم دون انقطاع
وقد اشتد سواد الحجر الأسود بالكعبة
من عمل هذا العبد..

العبادة

لا تقل إنني راضٍ عن الدنيا أبداً،

محرراً في دور النشر المختلفة، وأميناً لاتحاد كتّاب أوزبكستان، قام بترجمة
«الكوميديا الإلهية لـ «دانتي»»، وقصائد نيكروسوف وشيفتشينكو.

وإن شئت ...

فَقُلْ هذا في الصحراء

أو في الجبل ...

حتى لا يسمعك أحد فيسأل:

لماذا أنت راضٍ عن الدنيا؟

وإن كنتَ غير راضٍ عن الدنيا

فلا تقل كلمة واحدة،

واصبر على العذاب والفرق

حتى لا يسمعك أحد فيسأل:

لماذا أنت غير راضٍ عن الدنيا؟

لا تنظر إلى أحوال الدنيا بحيرة

بل كن هادئاً أمام كل أحوالها،

وعندما تكون وحيداً في الليل الطويل

افتح قلبك، واتجه إلى الله تعالى!..

الإنسان

يأكل كل ما أمامه ولا يردّ شيئاً
إنه شأن الحيوان غير العاقل أصلاً
يقول كل ما يأتي على لسانه
إنه شأن الغبي الناقص الفهم
خلق الله تعالى الإنسان
وكرمه على جميع خلقه
وطُرد إبليس من الجنة
لأنه لم يسجد للإنسان

انظر حولك لترى كيف ينبت النبات
واعلم أن الله يعلم كل آن وشان لك
هناك أيام معينة للصيام
ولكن ...
دائماً ابتعد عن الحرام!

التوبة

هل ارتكبت ذنباً، يا أيها العبد المسكين،
واتبعت مكر الشيطان فجأة
ولم تبق راحة في قلبك وجسمك
وترافقك الندامة دائماً؟

والآن تبحث عن حل ونجاة في كل مكان
ولكن ليس لديك حرية ولا إمكان
تقف أمام الشخص المذنب
كل الأبواب وعتباتها.

إن العالم لا تزال فيه رحمة
يتحرك مهد المحبة،
تُب، وتُب، وتُب فقط
فأمامك باب التوبة مفتوح.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

رسالة إلى أمي وقصائد أخرى

محمد يوسف (*)
Muhammad Yusuf

رسالة إلى أمي

أفكر فيك صباح مساءً

وصورة أمي هي الماثلة

(*) محمد يوسف (1954م - 2001م)، ولد في أنديجان، اشتغل في جريدة «طشقند أفشامي» («طشقند المسائية») و«أوزبكستان آوازي» («صوت أوزبكستان»); نشرت له حوالي عشر مجموعات شعرية، منها =

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

حنيني إليك ...

وشوقي إليك ...

ولا أستطيعُ

الحضور إليك ...

وحبِّي في القلب تغتالهُ

ليالي مدينتنا الغافلهُ !

أحبُّ الجميع - كما قلت لي -

وضعتُ بهم ثقتي الغاليةُ

وخان الجميعُ...

وراح الجميع...

وهذا صديقي العزيزُ

يبيع

صداقتنا... والرؤى الحاليةُ

= «الأشجار المعروفة»، و«لي كلمة للبلبل، «ويبدو أن هناك كثيراً من غير الأوفياء»، و«سفينة العشق»، و«الالتجاء» إلخ.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ويشعل قلبي الصغير ...

يصير

كما الشمس في ساعة القائلة

وتسخر مني نجوم السماء

لما شاهدت من عناء الهموم

وكنت كمهز أضع المساء

جماعته ... بين تلك التخوم

يخاف تغوله غائله

أنا ذاهب... أستشير الطريق

وأرنو لسيارة ذاهبه

وأبكي...

وأندب حظي... وكم

أواسي نفساً غدت سائله

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

أفكر فيك صباح مساءً
وصورة أُمي هي الماثلة
حنيني إليك...
وشوقي إليك...
ولا أستطيعُ
الحضور إليك...
وحبِّي في القلب تغتالهُ
ليالي مدينتنا الغافلهُ !

صحيح - عن الحب ما قلته
وفطرة قلبي هي الباقيةُ
نصيبي من الحب ذا
أن أكونُ
محباً ... وليس حبيبي ليهُ
أحنّ إليك ...

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وقلبي لديك ...
وأرجو لك الصحة ... العافية
« محمد يوسف » فدَى مقلتيك
يُقبَل وجنتك الساهله !

الصباغة الشعرية: محمود عبدالهالك

النهاية

إذا تجمدت القلوب
وغابت عنها المحبة
يصبح العمل الطيب
مثل بيضة العنقاء
يكره كل واحد أخاه
وقد يعصّه إذا رآه !
ويتقاتل الناس في كل الأنحاء
ويتحينّ البطل فرصة ليقتل البطل

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

والبهلوان يظل كارها

صديقه البهلوان

والمطرب يشتم صاحبه المطرب

قبل بدء الغناء

أما المثقفون فهم لا يحتاجون للقتال

إنهم يدمرون بعضهم غيبا

فالعالم يهدم العالم

والشاعر يهدم الشاعر بشعره

وكل يكون في عناء

إذا تجمدت القلوب

وغابت عنها المحبة

يصبح العمل الطيب

مثل بيضة العنقاء

يكره كل واحد أخاه

وقد يعصه إذا رآه!

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

يتهدم بستان اسمه «العقل»

فكأنما مرّ بالبستان غول

والأمّهات حيرى ...

لا يعرفن بناتهن

والبنات ...

نسين أسماء أمهاتهن

ويحمل الآباء أولادهم على الدوام

وهم يرجون منهم المساعده

ويبكي الآباء من ضرب الأبناء

وجوههم زرقاء

شعورهم بيضاء

تَصَبَّر...

فأنا لا أستطيع الكلام

وسأحاول أن أصبر

وسأبكي على نفسي

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

من ثقل حياتي علي

وإن تحدثت ...

فمصيري الفناء !

أغنية اليتيم

لا تحزن أيها القلب المسكين

ولا تحسب أنك وحيد

في هذه الحياة...

فأبي هو شجرة الحور الأبيض

وأمي هي الصفصافة الباكية!

يسبح القمر وحيداً في السماء

وأنا وحيد مثل القمر

أختي الكبيرة ريحانة

وأختي الصغيرة زنبقة

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ، يونيو 2004

أفترش تراب الأرض المالح
وغطائي غيوم في السماء
أخي الكبير جبل راسخ
أخي الصغير عصفور يطير

والبرق ابتسامتي.

والمطر دموعي،

والأسد حارسي

والنمر فربيبي...!

ولا أعرف من هو عدوي،

ولكنني أفديه إن كان شجاعاً،

ولا أعرف لي صديقاً،

وحبيبي هو الله..

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

اغنية المنود

بطشت الخنازير ببستاني،
وكان أحدها أكثر بياضاً وسمناً من الأخرى
وكانت تعلق كل أنحاء جسمي
وتطلب خبزاً
وهي لا تعرف الشبع،

وتصيح و ترقد على الأرض مبسوطه
وتهدم حدائق الورد التي أنسقتها
وتخرب كل ما أبنيه بعريقي
وتنجس كل ما هو طاهر.

كيف أصارع هذه الخنازير
وجلدها مثل جلد التنين
وشكلها يشبه البراميل

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ورؤوسها مثل أعجازها!

بطشت الخنازير ببستاني،
وكان أحدها أكثر بياضاً وسمناً من الأخرى
وكانت تعلق كل أنحاء جسمي
وتطلب خبزاً
وهي لا تعرف الشبع،

ورحمتها، إنها مخلوقات مسكينة،
وليس عندي نية سيئة،
قد هدمت بستاني، ولكنها..
ولكنها طلبت مني التحدث بلغتها.

يارب، تعبت من الخنازير اليوم
والألم يعتصر قلبي
يا الله، ساعدني

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

فقوتي لا تكفي لأصارع الخنازير.

كرستينا

كرستينا!

جارتى الحميمة.

حذاءها بكعب عال

شعرها أصفر

إنها جميلة.

وهي جارتى، ولكنها... آه...

لكنها تحب قطتها أكثر من الجيران...

كرستينا!

جارتى فى الشقة المجاورة،

عيونها زرقاء

وأنفها... آه...

لها ولد

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وكلبان -

تركها زوجها

هذا قدر!

والقدر الأزلي،

إن المطلقات كلهن جميلات.

كرستينا.

حديقة بلا راعٍ

وهندباء برية في غبار.

كان زوجها صديقاً حميماً لي

وكان سائق قطار

يعود من العمل مرهقاً، وفي يديه رائحة الزيت

وينام في بيتنا إن شرب...

كرستينا!

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

جميلة ذات شعر أصفر
وتنظر بتكبر واعتداد...
وشقتي مليئة بالأولاد،
وشقتها مليئة بالحيوانات

وشقتي في الطابق الخامس
مفتوحة للضيوف طبعاً،
ويستحيي الإنسان قليلاً
عندما يشم الضيوف رائحة الكلاب في المصعد.

في الإيجار

يأتي صاحب البيت:

- ماذا تكتب؟

- شعراً،

ويبتسم، ويخرج قائلاً:

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ، يونيو 2004

- طيب، اكتب.

وتأتي زوجة صاحب البيت:

- ماذا تكتب؟

- شعراً،

وتبتسم، وتخرج قائلة:

- طيب، اكتب.

ويأتي ابن صاحب البيت، ويقول:

- كيف الحال، يا شاعر، هل تكتب شعراً؟

ويقول: - أعطني سيجارة،

ويبتسم، ويخرج.

وتأتي ابنة صاحب البيت،

تدخل صامتة، وتخرج صامتة،

وتغادرني، ويضيق قلبي...

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

وأدخن، ومن سيجارتي
تنتشر رائحة العطر.

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

قصائد

(*) محمد علي
Muhammad Ali

من أنا

إن كان العلماء في هذه الدنيا أربعة

وتصل شهرتهم إلى عنان السماء

(*) ولد في أنديجان عام 1942م، نشرت له عدة مجموعات شعرية: «أحاسيس في الفضاء»، و«بلاد الآباء»، و«الضوء الأبيض»، و«إن كنتُ محباً، وإن كنتُ محبوباً»، والرواية التاريخية الشعرية بعنوان =

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

فسيعرف الكل دون شك

- وإن لم أقل هذا -

إن أحدهم هو جدي!

وإن اعترف العالم بأربعة شعراء

وصار شعرهم مهماً إلى هذه الدرجة

فسيعرف الزمن دون شك

- وإن لم أقل هذا -

إن أحدهم هو جدي!

وإذا عرفنا أن الفرسان الشجعان كثيرون

وقد انتخبوا من بينهم أربعة

= «الدنيا الباقية»، والرواية النثرية «القادة»، قام بترجمة القصيدة الهندية الشعبية «رمايانا» إلى اللغة الأوزبكية، وكذلك قصائد لبيرون، بيورس، وبوشكين، وتاغور، اشتغل في دار غفور غلام للنشر، واتحاد كتاب أوزبكستان، وفي جامعة طشقند، وكذلك قام بتدريس اللغة الأوزبكية في جامعة واشنطن (سياتل، الولايات المتحدة الأمريكية).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ، يونيو 2004

فسيعرف البشر دون شك

- وإن لم أقل هذا -

إن أحدهم هو جدي!

ستمر الأزمان ...

وتصبح أوزبكستان

إن شاء الله

دولة عظمى

وأنذاك سيتذكر الجميع

عظمة أجدادنا وأفعالهم

فهم بارزون في تاريخ الوطن!

الوطن

سافرتُ ...

ابتعدتُ ...

تغربتُ عنك

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

ولكنني سأعود إليك

لتقول لي في النهاية

من عاش في بلاد الغربة

هل يكون سعيداً؟

إذا رميت الحجارة إلى الفضاء

.....

فسترجع إلى الأرض !

الحماية

في دار العلوم اجتماع كبير...

اجتمع مندوبون مختلفون من الغابة

والكثيرون من عالم الحيوانات

وأعضائه البارزون.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

هنا الدب البطل والفييل و الحلوف،
والذئب والغريير والثعلب والضبع،
والسولق والجرد والفأر،
والقرد والأرنب.
وباختصار اجتمع المجلس...

تنحج الغريير - رئيس الاجتماع - وقال:

« أيها الأعزاء
نعرف جميعاً
أن الأرنب المجتهد
يقوم بعمل علمي،
وعمله يلاقي
استحساناً كثيراً
وهذا لا شك فيه! »

ويقف الأرنب على المنبر،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

وسكنت القاعة إلا من أصوات مهموسة.

وبدأ العالم الشاب يتحدث

عن حقيقة عمله

وتجربته

وفضله

وخصائصه

والنفع الذي قد يعود به عمله على الشعب

وأعطى أرقاماً وأدلة،

وأدهش الجميع.

وحيثُ قام الشعب وقال:

- « كل شيء جيد، ولكن هناك سؤالاً،

الكلام هنا كثير، والعمل قليل،

ولا توجد مقالات نشرت،

ولا رسائل أُصدرت... »

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

- «يوجد! - صاح الأرنب حالاً، - كل شيء موجود!
والمقالات في المجلات، والرسائل في المجلات.
لا تسعها القاعة إن أتيت بها،
وقد تركتها في الدهليز، هناك، عند المدخل،
لنرَ، كي لا تقولوا إنني كذاب!..»
- «جيد» - قال الثعلب، - «لنرَ نحن الاثنين!..»
وخرجا إلى المدخل..
ولم تمض لحظات
حتى عاد الأرنب وحده،
ويلقى جلد الثعلب في الوسط.
واندهش أهل القاعة،
وسكتوا...
- «إحم... طيب» - قال الذئب، من بين الجميع
وهو يؤكد على كل كلمة ولا يستعجل:
- «لم يتقيد الشاب بالعادات،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

ولم يستخدم أدوات مرئية،
لا توجد صور، ولا لوائح، ولا مشاريع،
أما الجداول فقليلة...»

- «كله موجود»، - صاح الأرنب، - «كله: لوائح، ومشاريع،
أما الأدوات المرئية فهي كثيرة جداً.
لا تسعها القاعة إن أتيت بها،
وقد تركتها في الدهليز، هناك، عند المدخل،
لنر، كي لا تقولوا إنني كذاب!..»

- «جيد» - قال الذئب، - «لنر نحن الاثنين!..»
وخرجا إلى المدخل...
ولم تمض لحظات
حتى عاد الأرنب وحده،
ويلقى جلد الذئب في الوسط.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

واندهش أهل القاعة،

وسكتوا...

ويفتح باب القاعة بشدة

ويدخل النمر غاضباً،

ويقول: « طيب... هل هناك أي سؤال علني آخر

من أي واحد منكم

على تلميذنا الأرنب؟ »

والقاعة صامتة.

وارتفعت الحماية إلى قممتها

وهكذا وصلت الحماية إلى النهاية..

الملك والشاعر

أسطورة

كم من أحلام يحلمها الإنسان!..

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

رأيت في حلمي معركة أسطورية،
وأنا - لسبب ما - لست في المعركة،
اسمع، أنا جالس في مكان آمن
وآنذاك كنت شاعراً أيضاً، يا للأسف،
وأمامي أوراق، وريشة، ومحبرة،
أما الفرسان فيقاتلون في المعركة،
وأنا أكتب أشعاراً دون انقطاع،
وكان نصر الدين أفندي ملك البلاد،
يقاتل في المعركة أيضاً،
ويطش الأعداء في بلادي...
وكم من أحلام يحلمها الإنسان...

أصوات السيوف والخيول..
اضرب، ياه! الصيحة - ما أجمل الحياة!
وفجأة دخل شخص ما

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ودفعني على كتفي بالسيف وقال: "أنت!

لماذا تجلس هنا، ومن أنت؟

ألا ترى أن هناك معركة؟"

التفت إلى الراء وابتسمت فرحاً،

ها هو الملك أمامي على فرسه.

قلت «أنا شاعراً»

- «ولماذا لست في المعركة؟»

وأشرت إلى أوراقي: - «هذه هي معركتي»،

- «أين سلاحك، يا صقر؟»

- «ها هو!» ورفعت قلبي مغروراً،

«يقاتل الفارس في ساحة القتال،

وأكتب قصيدة الشرف والنصر،

وأفكر دائماً، يا مليكي، فيك أيضاً،

وأفكر في بساتين البلاد وأراضيها وسمائها،

وأفكر في شعبي ، وهذا همي،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وراحة شعبي - فرح لقلبي.

أما الآن فأسبّ العدو

ولا أرتاح حتى يغادر العدو

وانظر هذه القصائد، ها هي مليئة بغضبي وقهري..»

- «كفى، يا شاعر! إن حياتك تنقضي بالكلام،

هل تستطيع أن تقوم بشيء آخر غير هذا؟

مثلاً، تأخذ السيف وتقاتل في المعركة

وكف عن سب العدو الآن...»

- «أما أنا فأفدي الوطن بعمرى،

ولكن شعري ألا يصبح يتيماً؟!»

ونظرت إلى أوراقى بمحبة

وكانت الدنيا منيرة بها.

وجالت عيون الملك

ومسك قبضة السيف،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

- « لا يهملك أن تصبح بلادك يتيمة،
وتفضل ألا يصبح شعرك يتيماً.
وستنفع من؟ و ماذا؟ أيها الرجل المسكين،
غضبك بلا فائدة، وحبك بلا نفع؟
اسجنوه، إنه مجرم!» - قال الملك،
دخل الجلال، اسمه (مقاتل)
فأخفيت أوراقي عنه...
واستيقظت،
والحمد لله، وقد حل الفجر.

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

قصيدتان

آيدن حاجييفا (*)
Oydin Hojiyeva

ليلة القدر

تصطدم قراءاتي ليلاً ونهاراً

بحافة السقف الحديدي وترجع إليّ

(*) ولدت في بخارى، نشر لها أكثر من عشرين مجموعة شعرية منها «الأغاني التي أحبها»، و«ندى الصباح» (باللغة الروسية)، و«زهرة الحلم»... وكذلك لها كتاب مقالات بعنوان «ابحث عن البنابيع»، =

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وأبياتي التي كتبتها بحبي
هي كل ما وجدت من الراحة في هذه الدنيا.

ونزل نور الهداية على رأسي
فجأة جاء مثل صوت الحجر
واستيقظ الشعب الملحد الأصم
على أصوات التكبير، وكان نائما

بكيت وصليت للخالق تعالى
وهابت البشرى من النجوم ومن القمر
وطلبت السعادة في ليلة القدر
ونمت الأزهار في حلمي.

وسقطت أعمدة السقف الحديدي
وبطل السحر الذي غطى العيون

= وقصص وقصائد للأطفال، تعمل رئيسة هيئة التحرير في مجلة «كولخان»
(«الشعلة») الخاصة للأطفال.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وزُرعت البركة والعناية مثل الأزهار
على الأرض الخالية من الذنوب

لو أمسكت بابي لأصبح ذهباً،
لو أمسكت مهدي لأصبح ذهباً،
لو شربت قطرة من الماء لأصبح ذهباً،
وإن أردت شيئاً أصبح ذهباً(*) .

طلبت نور الإيمان لشعبي
طلبت شفاء القرآن لقلبي
انصرف يا كفر الغفلة، يا غول الظلم
طلبت الحرية أعلى درجات الإحسان!

1991م

(*) في اعتقاد الأوزبك أن من يرى ليلة القدر يتحول كل ما يلمسه ذهباً.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

الأوزبك

يستطيع أن يصرف على عشر

حفلات عرس

وعلى مائدته خبز يابس

في حظيرته أبقار وأغنام

ويغلي في قدره حساء بلا لحم

ليس لديه جبة جديدة

فهي مرقعة

وفي منديله كسرة من خبز الشعير

وإذا جاء عدو له ضعيفاً

أجلسه باحترام في صدر المجلس

وكان هو خادماً متواضعاً له

هناك ناس يحذون القملة

ويبنون قصوراً في الهواء

ولكن الأوزبكي يزرع ويحصد ويأتي للسوق

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

ويقدم محصوله للشعب وسعره
أرخص من «مجاناً»

يحترم عنزه وغنمه في التلال
ويحافظ على صحن كلبه
ويحترم الرضيع في المهد
ويحترم عربة رضيعه

لا ينظر إلى أراضي الغير
واستقر في حقله وتلاله راضياً
وصادق فأسه ولازمها
ورضي بقدره وهو يشكر الله على هذا

خلقه الخالق هكذا شاعراً
خلقه الخالق صابراً

1990م

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الزار

عبدالله قادري (*)
Abdulla Qodiriy

قصة وهمية

عندما كان والدي يبدأ قصته هذه كان الخوف يتملكني،
وكنت أقول في نفسي وأنا ألتجئ إلى الله تعالى: «اللهم
لا تجعلني ألقى جنّاً مثلها!».

(*) عبدالله قادري (1894-1938م)، وُلد في طشقند، وهو أحد الرواد
البارزين في الأدب الأوزبكي. نشر روايته الأولى «الأيام الماضية» في
ثلاثة مجلدات في عامي 1925-1926م. وروايته التاريخية الثانية
بعنوان «العقرب من المحراب» عام 1928م، له عدد من المقالات والقصائد =

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

جاءت خالتي يوم أمس تزورنا، وجلس أبي وأمي وخالتي بعد العشاء يشربون الشاي ويتحدثون عن أشياء مختلفة، ودار الحديث وتوقف عند موضوع الجن والملائكة والغول في هذه المرة أيضاً، أما أبي فلم يمتنع عن حديثه حول «الزار» أي حفلة الجن التي شاهدها بنفسه، وكانت قصة أبي هذه مخيفة جداً بالنسبة لي، ولذلك رقدت في فراشي، وتغطيت باللحاف، ونظر أبي إليّ وابتسم، وبدأ حديثه عن «حفلة الجن»:

« - كان هذا بعد عدة أيام من زواجي، كنت مشغولاً بأمور المعيشة، ولم أستطع أن أقوم بترتيب كرم العنب في مزرعة لي خارج المدينة، وذات يوم وجدت فرصة وذهبت إلى المزرعة فوجدت أن غصون العنب قد طالت، ونما السعد(*) بمقدار كفين، ولذلك وجب تعديل إسنادات الكرم، وعندما ذهبت إلى المزرعة في اليوم

= والقصص القصيرة والطويلة منها «أحوالنا»، و«إلى شعبي»، و«حفلة العرس»، و«عابد الفأس»... قام بترجمة قصة «الزواج» لغوغول، وقصة «بستان الكرز» لتشيوخوف وقصصاً أخرى للكتاب الغربيين إلى اللغة الأوزبكية، حكم عليه بالإعدام وتم تنفيذ الحكم في عام 1938م، وأثبتت براءته في عام 1956م.

(*) نوع من الحشائش.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الربيع كان المطر قد نزل ليلاً وطالت غصون العنب، كأنها كانت تنتظر المطر، وانحنى على السعد وكأنها زعلت مني لأنني لم أقم بتقليمها في الوقت المناسب، وقررت أن أكمل عمل العنب مهما كان ذلك. فكرت أنني سأظلم نفسي وأظلم العنب إن لم أكمل قطع غصونه الزائدة.

لقد تبينت أنني أخذت كمية من حبال القنب أقل من المطلوب، وأنه قد انتهى في الظهر، والذهاب إلى السوق لإحضار حبل القنب يستغرق وقتاً وقد يحل المساء حتى أعود، وعدا ذلك بقي جزء قليل من كرم العنب. ما العمل؟ ولم أفكر طويلاً وبدأت أقشر أغصان أشجار التوت، والصفصاف، والخور الأبيض.

ومضى وقت بمقدار ما يصنع فيه إبريق من الشاي حتى جمعت كل ما قطعت من قشر الأشجار، وأخذته، ثم دخلت المزرعة.

وأخيراً، تخلصت من قطع غصون العنب عندما حل الظلام تماماً، ثم غسلت يدي ووجهي، وكان الظلام قد غطى كل مكان. ولم يبق أحد من الجيران الذين جاؤوا للعمل في مزارعهم، وذهبوا كلهم إلى المدينة، ولم يكن أي صوت في الشارع إلا أصوات الجراد والضفادع.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وخرجت من المزرعة قبيل صلاة العشاء، وبدأت
أمشي وأنا أتعثر بأشياء مختلفة في طريقي."
وخاطب أبي خالتي، وقال: «- إنك تعرفين أن
مزرعتنا محاطة بساحات كثيفة الأشجار...

مشيت عبر هذه الساحات لكي أخرج إلى الشارع
الكبير بسرعة، وقد كانت مظلمة ومخيفة جداً، وكانت
قطعة أرض «الفخاري حَمْدَم» بيني وبين الشارع
الكبير».

وعندما وصلت قصة أبي إلى هذا المكان تغطيت
بلحافي بشدة.

وواصل أبي حديثه:

«- مشيت خطوة وأخرى في اتجاه حقل «الفخاري
حَمْدَم»... ورأيت ضوءاً من بعيد، وتلفتت حولي
واستغربت... كان الضوء في الساحة ساطعاً جداً...
وليس هذا فقط، بل كانت تُسمع من هناك أصوات أناس
يتحدثون، ورقص، وأحياناً، تُسمع ألحان «دوتار»^(*)

(*) الدوتار والطنبور: من الآلات الموسيقية الشرقية.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

و«طنبور» وآلات موسيقية أخرى، وكانت هذه الأصوات ضعيفة ولكنها تؤثر في القلب.

وتجمدت، ووقفت في مكاني وقتاً ما، وفي الحقيقة، كان غريباً أن يحدث مثل هذا الشيء في مكان خرب يمكن أن يكون عشياً لليوم، ومع ذلك فقد مررت بهذه الساحة صباحاً ولم يكن ما يشير لحفلة هنا آنذاك. وفكرت: من الممكن أن يكون الشباب قد بذلوا جهوداً في النهار.

وأردت أن أعبّر الساحة التي تقام فيها الحفلة وقفزت فوق السور... ياه... كانت الساحة منيرة كما لو أنها في النهار، والمصابيح معلقة على غصون الأشجار، والبسط مفروشة على الأرض. وأقيمت «سماورات»^(*) في جهة، وفي الجهة الأخرى قدور كبيرة يطبخ فيها طعام، وفي وسط الساحة اجتمع حوالي مائة شخص بينهم شباب وكبار، يعزفون على آلات موسيقية ويضربون الدفوف، ويقيمون الحفلة.

وحينئذ استقبلني شخص مسرعاً، وخاطب الحضور

وقال:

(*) «سماورات»: أباريق كبيرة للشاي.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

- ها قد جاء إلينا «أخونا أوسر».

والتفت المحضور إليّ وقالوا:

- تفضل، تفضل، هل أكملت شغلك في المزرعة، أيها
«الأخ أوسر»؟

ولم أذكر الآن ما أحببتهم به آنذاك، لأنني كنت
حائراً.

وأصروا على جلوسي في صدر المجلس بغير إرادة
مني، وكما تعودنا، كان عليّ أن أقرأ الفاتحة(*) عند
الجلوس في المجلس، ولكن شغلتنني الإجابات عن
أسئلتهم والمحادثات معهم، ونسيت قراءة الفاتحة...
وبعد قليل جمعت أفكارى، ونظرت إلى المحضور في
المجلس، وكأنني رأيت أكثرهم في مكان ما... ثم نظرت
إليهم بدقة، يبدو أنهم ناس لا أعرفهم ولم أرهم من قبل.
ولكن أدهشني شيء آخر، فهم يتعاملون معي وينادونني
باسمي، ويسألونني عن الأشياء التي عملتها اليوم، وهم
يعرفون أنني قشرت أغصان الأشجار لأعدّ منها حبلاً.

(*) الفاتحة: دعاء قصير (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

وتكلم واحد من بينهم لا أعرفه، ربما كان رئيس
المجلس، وقال:

- احضروا السفارة لـ «الأخ أوسر»!

عارضه آخر من بين الذين يجلسون في صدر
المجلس:

- سنقيم حفلة، ثم نفرش السفارة للجميع، - ثم توجه إليّ
وقال: - ربما أنك أيضاً اشتقت إلى الحفلة، وسنقيم
الحفلة قبل كل شيء، ما رأيك؟

ولم يبق لي شيء إلا أن أوافق على فكرته لكوني
ضيفاً هنا ولو كنت جائعاً.

وبدأ العازفون يعدون آلاتهم الموسيقية، والتي
أعرف بعضها منها مثل: «الدوتار»، و«الطنبور»،
و«الجنك»، و«الناي»، و«الدف»^(*)، ولا أعرف بعضها
الآخر ولم أرها من قبل. وتم ضبط الآلات الموسيقية، وبدأ
العازفون يعزفون لحناً هادئاً مؤثراً.

وكان اللحن ساحراً... وبدأت أنحنى، وأكاد

(*) آلات موسيقية أوزبكية شعبية.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

أغوص في الأرض، كنت مضغوطاً وأسيراً لهذا اللحن ولا أعرف أين أضع نفسي. ويطور العازفون اللحن قليلاً قليلاً... ولم أستطع أن أصبر وبدأت أبكي، ولا أعرف لماذا أبكي... بكيت طويلاً، وانتهى اللحن أخيراً. انتهى ولكنه أنهاني أنا أيضاً، كنت مجروحاً وكأنني كنت تحت حجر الرحي، وليست لي قوة على الحركة. وفتحت عيني، وكان الحاضرون ينظرون إليّ وابتسمون من حالتي، ونظرت إلى الأرض وأنا خجل.

ويستعد العازفون لعزف لحن آخر، ولكنني كنت خائفاً من الاستماع إلى لحن يشبه الأول، وبدأ قلبي يخفق، ربما أموت قبل أجلي إذا سمعت لحناً يشبه الأول...

وبدأ اللحن الثاني... وجرى ماء الحياة في جسمي مع بداية اللحن، وشعرت بلذة ما في نفسي، وكان اللحن ذا ذوق عجيب، ولأعرف كيف أسميه أو أصفه.

وحيئنذ حضرت فتاة شابة - ذات خمس عشرة أو ست عشرة سنة - إلى وسط المجلس، شعرها مجعد مفلفل، وجفناها ممتلئان وعيناها جميلتان، وكانت تلبس

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

صدرية مزركشة من المخمل. وعندما مشت عدة خطوات في الوسط، دقت الأجراس في رجليها، وبدأت الفتاة ترقص على اللحن.

ويستمر اللحن، وكأن صوت الآلة الموسيقية النفيسة يجعل الفتاة ترقص بحركات غير إرادية. وينزل الفرح على الدنيا حيناً، وتنزل الروح عليها حيناً آخر، وكأنها.....، وتهز الأراضى وتهدم الجبال، وتحرك غصون الأشجار.

وأخيراً، ملأت الفرحة قلبي، ثم خرجت منه، وأقامتني قوة ما من مكاني، ولم أقم بإرادتي، وبدأت أرقص بجانب الفتاة».

ولم تستطع أمي وخالتي أن تصبرا، وضحكتا، أما أنا فتصورت كيف يرقص أبي.

وواصل أبي حديثه وقال:

«- إذن، بدأت أرقص، وأنا أحاول أن أرقص مع الفتاة مهما كان، أما الفتاة فرقصت قليلاً معي ثم خرجت من الوسط، وذهبت إلى الطرف، ولكنني لم أتوقف عن رقصي، ولم أفكر في التوقف، والناس يصفقون لي،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ويصيحون بي كأنهم يسخرون مني، وأنا لا ألتفت إليهم
وأستمر في رقصي...

فجأة عثرت بشيء ما ووقعت على الأرض، ووقفت
على رجليّ، وحاولت أن أستمر في الرقص، ووقعت من
جديد.

وبعد وقت قليل قمت ونظرت حولي... لا يوجد
أحد هنا، ولا آلة موسيقية واحدة، ولا شيء آخر... لا
أحد، ولا شيء!.. وأنا واقف في حفرة في وسط الساحة
المظلمة...».

وتحدثت عن هذا الحدث الذي شاهده أبي إلى
المعلم، فابتسم وقال:

- إنه وهم، إنه تخيل!

- هل في الحقيقة هذا وهم؟ إذن، كيف يحدث مع
الإنسان؟ - سألته، وأجابني:

- في الجمعة القادمة سأخبر الأولاد عن الوهم، إن
حضرت هذا المجلس، ستعرف كيف يحدث الوهم!

سأذهب إلى المدرسة في الجمعة القادمة لأستمع إلى

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ، يونيو 2004

حديث معلمنا كيف يحدث الوهم. إن وجدتكم فرصة،
فتعالوا أنتم أيضاً يوم الجمعة القادم.

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

أيها الولد اللص

غفور غلام (*)

Ghafur Ghulam

قصة واقعية

مرّت عدة سنوات على وفاة والدنا، وفي ربيع هذه

* غفور غلام (1903-1968م)، وُلد في طشقند، نشر له حوالي عشرين مجموعة شعرية، منها «الأناشيد الحية»، و«كوكان»، و«أنت لست يتيماً»، و«الاشتياق»، و«سيكون الاحتفال في شارعنا أيضاً»؛ كان عضواً في أكاديمية العلوم في أوزبكستان، اشتغل في جرائد «كمبغل دهقان» («الفلاح الفقير»)، و«قيزيل أوزبكستان» (أوزبكستان الحمراء)، و«شرق حقيقتي» («حقيقة الشرق»).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

السنة - السنة السابعة عشرة(*) - فقدنا والدتنا أيضاً، فأصبحنا أيتام الأبوين، وجاءت إلينا جدتنا - أم والدتنا المرحومة - لتعيش معنا وتراعينا نحن الأيتام الأربعة، وكنا ندعوها «الجدة السمراء» محبة ومداعبةً لها.

كنا ننام كلنا مع جدتنا في سقيفة مكشوفة من الأمام، ونحن نتدثر بأغطية بالية على بساط وحيد قديم من صنع (أوراتيبة).

وفي إحدى ليالي نهاية شهر سبتمبر وبداية الخريف، والجو بارد نوعاً ما، كنا ننام نحن الأيتام كلنا متلصقين جنباً إلى جنب، نستدفئ ببعض، وفي آخر السقيفة إلى جانبنا كانت ترقد «جدي السمراء» مثل أم الطيور، وقد تجاوز عمرها ثمانين عاماً، وكانت تمصّ (ناصاً) (*).

في هذه الليلة، بعد منتصف الليل، استيقظت على أصوات و ضجة، وكانت جدي تتحدّث بصوت عال جداً مع شخص ما، وكانت دارنا كبيرة وشكلها مربع، وقد

(* عام 1917م. (المترجم).

(* الناص: نوع من التبغ الشعبي. (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

ورثناها عن الوالد والجد، وهي محاطة من جهاتها الأربع
ببيوت كبيرة عالية، وفي الجانب الشمالي يسكن أبناء
عمنا، ولكنهم في الصيف كانوا ينتقلون إلى الاستراحة،
ولهذا السبب كان ذلك الجانب فارغاً.

تصوّروا، جاء لصّ إلى بيتنا! يا للعجب! يبدو أن
هناك في الدنيا أشخاصاً يعتقدون أننا مثل الناس؟!
سأتحدث عن هذا لأصدقائي بكل غرور وافتخار: «جاء
إلي بيتنا لصّ». ويمكنني الحديث رافعاً رأسي، ولكن هل
يصدقونني؟

صعد ذلك اللص إلى سطح بيت أبناء عمنا، وجاء
ماشياً بهدوء إلى جهتنا، ولكنه عطس لما جاء أمام
جدتنا، وكانت جدتي ترقد وهي تحضن مخدّة، وتفكر،
وتحت لسانها (ناصر)، وبصقت جدتي (الناصر)، ونظرت
إلى السطح وقالت:

- أيها الولد اللصّ، يا أيها الولد اللصّ، ربما صعدت
إلى السطح لتكسب شيئاً ما من لقمة العيش، وشغلك
حسّاس، أليس من الأفضل أن تصعد بعد التخلص من
الزكام؟

- يا جدتي، أليس من الأفضل أن تهدئي وتنامي ليلة واحدة؛ إنك تعرقلين عملنا لنكسب شيئاً ما - قال اللصّ.

وربما استيقظتُ عندما وصل الحديث إلى هذا الحد تقريباً، وسأكتب ما تبقى من الحديث كما سمعته.

- أيها الولد اللصّ، وهل أستطيع أن أنام وقد جاءت عليّ هذه المصيبة؟! وها أنا لم أنم منذ ستة أشهر ولا ساعة في الليل، أمّا في النهار فأمشي ورأسي مثل الدوامة، وأجلس في مكان ما يأخذني نعاس، وأنعس مثل نوم الطيور، وفي الليالي أغرق في الخيال.

- بماذا تفكرين، يا جدتي؟ - سأل اللصّ، ثمّ خلع معطفه ولفّه، ووضعته على حافة السطح، وحضنه كمخدة واستلقى.

- بماذا أفكر؟ أفكر في مستقبل أيتامي الأربعة هؤلاء، أيها الولد اللصّ. وأنت ترى الزمن، والحياة صعبة، وهي أقسى من الحجر، ومن الأصعب أن تكسب قطعة خبز بمقدار عين الجمل، ولا يستطيع خالهم الوحيد - وهو سائق العربة - أن يعطيهم شيئاً وعليه أن يعيل

عائلته، ولم يبق شيء في البيت نراه أو نمسكه، نبيع شيئاً بعد شيء، ونأكله، ولا يكفي جبل من المال إن صرفت وأنت لا تكسب شيئاً. يا... متى سيكبر هؤلاء الصغار، ومتى سيأكلون من كسب أنفسهم؟ ويفكر الإنسان في هذا أراد أم لم يرد. وعلاوة على ذلك، فإن واحداً من هؤلاء الأيتام ولد ذكر، وهو الأكبر، أمّا البقية فهنّ بنات. وقد تجاوز الولد الرابعة عشرة من عمره، ولم يبلغ الخامسة عشرة. ومتى ستجد أولئك البنات مكانهن في الحياة؟ إن لم يوجد أحد يصرف عليهن ويعولهن، ومن يريدهن؟ إن الزمن صعب، أيها الولد اللصّ، الزمن صعب!

- أنت تقولين الحقيقة، يا جدتي، - قال اللصّ، - وفي رقبتي ولدان وزوجة وأمي العجوز، وكما يقولون إن الدجاجة الواحدة تحتاج الحبوب والماء، وعليّ أن أعولهم. أدخل في النار، وأمشي على حد سكين لأكسب أربعة أرغفة. أمّا أنا ففي ذراعي قوّة، لو أردت أن أعمل، وسليم عقلياً. وما رأيك، هل تعجبني مهنتي هذه؟ وأنا ابن صانع أحذية ولأبي كثير من الأولاد. وأمّا الزمن فانقلب. قالوا إن الحرب

ستنتهي عندما يصبح (كيرينسكي) (*) قيصراً، ويبدو أن الحرب لن تنتهي قريباً، والزمن للأقوياء حتى الآن. - ألا تستطيع أن تقوم بشغل آخر، أيها الولد؟ - سألت الجدة.

- أيّ شغل أعمله؟ فإن كل حرفة في أزمة. وهل أقوم بصنع نعل، وهو شغل أبي. أولاً، لصنع الأحذية لا يوجد جلد، ولا شراس، ولا مسمار، ولا صبغة. وتكلفة الخامات أعلى من سعر الحذاء الجاهز بثلاثة أضعاف. ولو أشتغل حملاً لا يوجد هناك الأغنياء الذين يشترون الحبوب والخضار بأكياس كبيرة. منذ عدة أيام استبدل (الأب بومات) - وهو من أكبر صانعي الأحذية في حيننا - بـبُودين (*) من الذرة بجميع أدوات صنع الأحذية، وكان تصرفه صحيحاً، لأنه لم يبق هناك فلاح أوزبكي، أو كازاخي، أو قرغيزي ليلبس أحذيته التي يصنعها، وبقي أيتامهم فقط، وهم متشردون في مدينتنا، فهناك بضعة عشر يتيماً يمدون

(* كرينسكي: رئيس الحكومة الروسية المؤقتة التي جاءت على السلطة بعد انقلاب النظام القيصري في فبراير عام 1917م. (المترجم).

(* بود: وحدة وزن زنتها 16,38 كيلوغراماً. (المترجم).

أيديهم ويسألون الصدقة قائلين: «يا عمي، أعطني خبزاً»، وهم في كل ركن حيث نظرت، وفي كل بيت حيث دخلت، وهم يسألون خبزاً، نعم، خبزاً، وأنا لا أستطيع أن أكسبه لأولادي. ولست أنا وحدي فقط، بل إن جميع صانعي الأحذية، وجميع الحرفيين، ومنهم السنانون، والنساجون، وحتى مدرسو المدارس والعلماء، كلهم في نفس الحالة، وهم محتاجون للعلقة من حساء الخضار، وهم متشردون.

- نعم، يلعنها الله الحرب! ربما هذا آخر الدنيا، أيها الولد اللص. نعم، وربما هناك رزقٌ لهؤلاء الأيتام. طيب، والآن أسألك أنت، إنك دخلت هذا الطريق الحرام من اليأس، فلماذا لا تذهب إلى بيوت الناس الأغنياء؟ فهناك في هذا الحي (كريم قارئ)، بائع الأقمشة، و(عادل خوجه باي)، المقاول، و(محمد يعقوب باي)، صاحب المال. وأموالهم كثيرة، وبيوتهم مليئة، وحتى ولدهم في المهدي يأكل الطعام في طبق على أطرافه بيت مكتوب. ولماذا لا تذهب إليهم، ولا تثقب سطوحهم؟

- أنت بسيطة، يا جدتي، أنت بسيطة، - قال اللص، -

هل من الممكن الذهاب إلى بيوت الأغنياء، وأسوارهم عالية، وأبوابهم من الحديد، وفي بيت كل واحد منهم كلبان أو ثلاثة كلاب، كل واحد منها مثل حمار، وتنبح تلك الكلاب أسبوعاً إذا طارت فراشة فوق صحن دارهم، ويحرس باب (عادل خوجه باي) حارس روسي معه بندقية. وأنا أريد أن أعيش، وإذا لم أقتل، أرسل منفيّاً إلى سيبيريا.

- كلامك هذا صحيح أيها الولد اللص، ولكن كن حذراً، ولا تضر بسمعتك أمام الناس، - قالت جدتنا.

- كلامك حق، يا جدتي، ذات يوم سرقت أربع دجاجات وديكاً من حظيرة (عارف فاسد).

- هل تقول إنك سرقت الدجاج والديك؟ إن هذه المخلوقات قد تصيح، ألم تفضحك؟

- لكل مشكلة حل، آخذ معي قارورة من الماء عندما أذهب لأسرق الدجاج، ثم أقترّب منها وأملأ فمي بالماء وأرش على الدجاجات، ولا يوجد أي مخلوق في العالم أحمق من الدجاج، وهي تفكر أن السماء تمطر، فتخفي رأسها تحت جناحها، وتسكت، وأنا آخذها من عنقها

واحدة واحدة وأضعها في الكيس.

- هكذا تقول، يا إلهي، إذن، هناك لكل مهنة جهة حساسة.

- ولكنني، يا جدتي، كنت على وشك الفشل والانكشاف، وأعطيت ديكاً لـ (رحمان خوجه)، وهو (إيليك باشي) - عمدة حيناً، وهو أقفل القضية، و(رحمان خوجه) يتعامل معي تعاملًا جيدًا، إنه رجل طيب، في السنة الماضية أعطيته رشوة ثلاثة وثمانين روبلاً، جمعتها بعد بيع بعض الأشياء، وقلت له: «يا عمدة، إنها كل ما جمعت»، وأعفاني من الذهاب إلى (رابوتشي) (*).

- أيوا، ولا يلحقه شر، طيب، الآن يا أيها الولد اللص، سيحل الفجر بعد قليل، وهذه النجمة المنيرة قد وصلت إلى القمة، وانزل إلى الأسفل من الشجرة بجانب المطبخ، ولم يبق لدينا خشب مقطوع، وهناك في المطبخ بعض قرمة خشب من شجرة اللوز التي كانت في دارنا

* رابوتشي: كلمة روسية، تعني عامل، وكانت الحكومة الاستعمارية الروسية تأخذ رجالاً من الجمهوريات الإسلامية المستعمرة كعمال للأعمال الشاقة في سيبيريا، وذلك أثناء الحرب العالمية الأولى. (المترجم).

في زمان ما، وخذ فأساً، واقطع لنا قليلاً من هذه
القرمة، وأنا سأشعل النار وأغلي الشاي، واحتفظت
برغيفين صغيرين أعطاهما خالك أمس، وسنشرب
الشاي معاً.

- لا، يا جدتي، من الممكن أن أقطع لك قرمة خشب،
ولكن لن أشرب معك الشاي، لأنك سوف تعرفيني
إذا نورت الدنيا، ولم أرم وجهي بعد، لدي عار، وأنا
استحي.

- يا إلهي، هل ستعود من البيت المبارك بدون أي شيء،
أيها الولد اللصّ، فخذ شيئاً ما. واصبر، ماذا تستطيع
أن تأخذ، أيوا، في المطبخ يوجد قدر ذو نصف بود،
وقبل فترة طويلة كان الناس كثيرين في دارنا، وكنا
نأكل من القدر الكبير، وأمّا الآن في هذه الدار
الكبيرة المزدهرة بقي هؤلاء الأيتام الأربعة فقط، ومتى
سيطبخون في هذا القدر الكبير، فخذ، وبعه، وقد
يفيدك في يوم ما، أيها الولد اللصّ.

- لا، يا جدتي، لا تكوني متشائمة، وستمضي هذه
الأيام بسرعة، وسوف ننساها، وستجتمع الأسر

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

الكبيرة، وهذا القدر الكبير سيكون صغيراً، هذا هو
رزق الأيتام، فليستفيدوا بأنفسهم، وسوف نخدم في
أيام زفافهم، إن شاء الله، والآن سأودعك، يا جدتي،
وأنا سأذهب، وقد نورت الدنيا في الجهة الجبلية.

- مع السلامة، أيها الولد اللصّ، زرنا أحياناً.

- طيب، يا أمي، طيب...

أما أنا فقد كنت أعرف ذلك الرجل اللصّ، ولكنني

حتى الآن لم أقل لأحد من هو!

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

معلم الآداب

عبدالله قهار (*)

Abdulla Qahhar

دخل الرفيق باقي جان بقايف، «معلم الآداب» أي «معلم الفنون الجميلة» - هكذا يسمى نفسه - الحظيرة، وزعل، لأنه وجد قرادة في أذن البقرة! وأزعلته البقرة

*) عبدالله قهار (1907-1968م)، وُلد في مدينة خوقند في منطقة فرغانة، نشرت له رواية «مصايح قوشجينار»، ومسرحيات كوميدية عديدة، منها «الأسنان المريضة»، و«صوت من التابوت»، و«أمهاتي العزيزات»، ونشرت له قصص طويلة أيضاً: «الزمير»، و«الحب»، و«حكايات من الماضي»، وقام بترجمة رواية «جامعاتي» لغوركي و«الخيل ذو النار» لغلادكوف، و«الحرب والسلام» لتولستوي إلى اللغة الأوزبكية.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

أكثر من القراة، فقد أراد بقاييف أن يخلص البقرة من القراة، ولكنها هزت رأسها ونخرت.

- يا لها من حيوان! هذه ليست بقرة، إنها حيوان! - قال وهو يغلق باب الحظيرة بقوة، - يا لها من حيوان! وكانت زوجته مُكْرَم تملأ إبريق الشاي (السماور) في الفناء.

- يا لها من حيوان! - قال بقاييف - لا بد من بيع هذه البقرة وشراء خنزير بثمانها!

- تربية الخنازير في المدينة ممنوعة - قالت مُكْرَم، وهي تضع الفحم في السماور.

- لماذا؟ هل هي ممنوعة؟ من قال ذلك؟ أنا الذي قال ذلك؟ نعم، هذا صحيح... طبعاً، إنها ممنوعة...

- ادخل البيت، جاءت حميدة.

كانت حميدة فتاة ذات ست عشرة سنة، ذكية ومرحة، قد فرحت لما رأت زوج أختها.

- لو عرفت أنك في البيت لأحضرت كراستي... يا للأسف...

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

وظهرت علامات الفرحة على وجه الرفيق باقي جان بقايف، وغابت عن خياله قرادة زرقاء في أذن البقرة وخنزير يهدم أطراف القنوات في الفناء.

- سمعت أنك حوّلت دراستك من المعهد العالي إلى كلية العمال والعاملات، هل هذا صحيح؟ - قال - إحم... تصرفت جيداً. أنا قلت لك حولي دراستك إلى كلية العمال والعاملات، أليس كذلك؟ إحم... أفّ، أصابتني حرقة... كلية العمال والعاملات جيدة، وأنا كنت فيها ذات مرة، وقد كُتبت على باب مكتب الإدارة كلمة «براكتيكوم»، وهذا ليس صحيحاً، والكلمات «براكتيكوم»، «مينيموم»، «ماكسيموم» كلها كلمات لاتينية أو قريبة إلى اللاتينية، وأنا شخصياً أعتقد هكذا.

صمتا فترة قصيرة.

- يا أخي باقي جان - تحدثت الفتاة على استحياء، - أردت أن أسألك عن شيء... قرأنا في الفصل قصة «رغبة في النوم» لتشيوخوف، ونريد أن نحاكم الفتاة التي قتلت طفلاً، وستقوم رحيمة بدور أم الطفل،

وسيقوم شريف جان بدور المدعي، وكذلك سيكون هناك قضاة، أما أنا فأريد أن أبرئ الفتاة، وأتهم مديرها الذي استغل الفتاة الشابة دون رحمة، هذا كله... وأنا كتبت هكذا، وأريد أن أعرف رأيك في هذا الموضوع، وأراد تشيخوف أن يقول هكذا، أليس كذلك؟

فكر الرفيق بقايف قليلاً، ثم سألها:

- ومن يدرّس الفنون الجميلة؟ هل هو حكيموف؟ إنه رجل غبي؛ لا يعمل ولا يطور نفسه، وهو يضحك عندما أقول إن علامة الاستفهام توضع دائماً بعد حرف «هل»، ولكن الأمر ليس في هذا فقط...

دخلت مُكرّمة وهي تحمل السماور، وأسرعت حميدة وقامت وأخذته من يدي أختها، ووضعتة على المائدة، وقد أرادت أن تلوم زوج أختها على أنه جالس مكتوف اليدين، وزوجته الحامل تحمل السماور، ولكنها استحييت وسكتت. أما الرفيق باقي جان بقايف فيبدو أنه كان عطشان، فقد شرب أربعة أكواب من الشاي، وعرق.

- إن شرب الشاي جيد، وخاصة بعد تناول طعام «شيشبرك»، - قال وهو يمسخ عرقه على وجهه، - إحم... لقد طالت لحيتي، لو لم يكن حلاقون لأصبح

الناس قروداً... .

- يا أخي باقي جان، ما أكملت كلامك في الموضوع، -
قالت الفتاة، - أليس رأي تشيخوف هكذا مثل ما
قلت أنا؟

وطلب الرفيق بقايف كوباً آخر من الشاي.

- تشيخوف؟ إحم... لا بد من النظر قبل كل شيء في
الموضوع عندما نتحدث عن الواقعية البورجوازية، ولا
بد من فهم الواقعية الموضوعية مثلما فهمها الواقعيون
البورجوازيون، ومثلما صوروها، ولا شك أن إبداعات
تشيخوف في حقيقتها من البداية إلى النهاية هي
الواقعية البورجوازية الأولى، يعني... إحم... يا
مُكْرَم، هل وضعت بيضة للدجاجة؟ لا بد من وضع
بيضة للدجاجة وإلا ستكون متشردة. يا إلهي، إنه لا
يوجد مخلوق أغبى من الدجاجة، تبيض إن وضعت
بيضة! ولماذا تبيض إن وضعت بيضة؟ ولماذا يصيح
الديك في الفجر؟ إنه سكولوجيا عجيبة! أدرسون علم
الأحياء؟

وتحدثت حميدة عما درست في علم الأحياء وماذا

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ستدرس أيضا في هذه السنة الدراسية، وأضافت أنها تريد أن تشير إلى أسباب فيزيولوجية في كلمتها - التبريرية، وأعادت الحديث إلى تشيخوف.

- إحم، - قال بقايف، - لدي رأي خاص عن تشيخوف، فليقل الآخرون ما يريدون، في اعتقادي أن وجهة نظره تختلف تماماً عن وجهات نظر بوشكين وليرمونتوف، وذلك رغم أنهم كتّاب من عهد واحد، ومن طبقة واحدة، وفي بلاد واحدة!

- لم يعيش تشيخوف مع بوشكين في عهد واحد، وفي مكتبتنا توجد صورة له مع مكسيم غوركي، وربما توفي تشيخوف في عام 1904م.

وقع الرفيق بقايف في حالة محرجة قليلاً.

- أنتم تتحدثون عن أي تشيخوف؟ أعطيني الشاي!.. عن هذا الـ(تشيخوف)؟ صحيح، أنه قد توفي إما في النصف الأول أو في النصف الثاني من عام 1904م... أعطيني منديلاً آخر، أشم رائحة بصل، أما أنا فأحدث عن ذلك الـ(تشيخوف)، عن تشيخوف الذي

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

كان ممثلاً للواقعية البورجوازية الأولى.

- وقصة «رغبة في النوم» لأي تشيخوف؟ - سألت حميدة.

- بلا أي شك لهذا الـ (تشيخوف)، ونشرت هذه القصة في مجلة «سوفريميتيك» لأول مرة.

وبعد ذلك تحدث الرفيق باقي جان بقايف حديثاً طويلاً، ولم تفهم حميدة شيئاً منه، ولم تعرف عم يتحدث؛ وأن هناك كاتباً اسمه ديتيردينغ كتب إلى ناقد مشهور اسمه شيلينغ وقال: «سيكبر ابنك ويصبح غلاماً، حتى تحتاج لخدمة غلام»؛ أمّا مركس فقد صنّف دوبروليوبوف في قائمة واحدة مع ميرينغ؛ وهناك كاتب مسرحي اسمه ستيندينغ كتب قبيل وفاته إلى ناقد اسمه ديمينغ: «إن الله خلق جميع الحيوانات، ولكن لا يعجبني الضبّ»... أما حميدة فدارت رأسها، وتساءبت مرة ثانية بهدوء.

وكان الظلام قد حل عندما ودّعت أصحاب البيت وخرجت إلى الشارع، ولم تحصل على أي فكرة من زوج أختها عن قصة «رغبة في النوم»، وتساءلت عما أخذت

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

من كلام زوج أختها، ولكن لم يكن في رأسها إلا هذه
الكلمات: «براكتيكوم»، «مينيموم»، «ماكسيموم»؛
«ديتيردينغ»، «ستيندينغ»، «شيلينغ»، «ميرينغ»،
«ديمينغ»...

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

عصيان الكنائن

سيد أحمد (*)

Sayid Ahmad

أصبحت البنت الصغرى لأُستى مَحْكَم واسمها
إنابَت فتاة ثرثارة، وتخاف منها أخواتها وزوجات
إخوتها، وهي تقول كلاماً يؤثّر على أي أحد، وهي منذ

*) سيد أحمد حسن خوجاييف، وُلد عام (1920م) في طشقند، نشرت له
الرواية الثلاثية «الأفق»، عدة مجموعات قصصية، منها «المحبة»،
و«قص فرغانة»، و«ذو القلب الرجالي» وغيرها، اشتهر ككاتب مسرحي،
له مسرحيات عديدة، منها «عصيان الكنائن» (كتبها على أساس هذه
القصة)، و«العريس» وغيرها. قام بترجمة بعض الأعمال الأدبية إلى
الأوزبكية وكذلك ترجمت قصص عديدة له إلى اللغات الأجنبية المختلفة.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

بدأت الكلام لا تترك أي شيء بلا رد، وكانت تقول لها
عمتها الشديدة التي تشبهها، وهي تؤكد:

- إن كانت حماتك امرأة حليلة هادئة الطباع، عندما
تتزوجين، ستقتلينها قبل أجلها، وإن كانت الأم الحاجة
لا تستطيع أن تتعامل معك، فإن أية امرأة أضعف
منها ستموت منك حتماً.

وكانت إنابت تزعج ليست زوجات إخوتها فقط، بل
تزعج كنائن الجيران أيضاً.

ورفضت أم إنابت خاطبتين أو ثلاثاً، وليس بسبب
أنها لم تعجب بهن، بل من باب العدالة والرحمة، كانت
الخاطبة الأولى امرأة حليلة، ستحولها إنابت إلى «خوخة
جافة» خلال يومين، أما الثانية فكانت مثل الملك، وتقول
بعد كل جملة: «أفديك بعمرى، يا عزيزتي». وإن رفعت
إنابت صوتها أمامها فسيغمي عليها.

وهكذا، فإن الأم التي رفضت عدة مرات، قبلت
اقتراح الخاطبات اللواتي جئن ليخطبن ابنتها للابن
الأصغر لأم «الإخوة الأبطال السبعة» الذين يسكنون بعد

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

خمسة أحياء منها، وقطعت رغيفاً أحضرته (*) . فاشتهرت أم «الإخوة الأبطال السبعة» في المدينة كلها، وكانت متشددة مع كل كنائها، وحصلت على لقب «العجوز الجنرال» .

بعد يوم الخطبة قالت عممة إنابت لها، وهي تؤكد:

- انتهى أمرك! وحمااتك «ستأكلك حية» .

- «تأكلني» أنا؟! إنها ستحاول بلا فائدة. سأجعلها تمرّ عبر فتحة الإبرة.

وخلصة الكلام، قالت هذه كلمة، وردّت الأخرى، وانتهى الأمر بإقامة حفلة الزفاف. وأصبحت إنابت بعد شيء من التجميل عروساً مثل الهلال، وقد ازدهرت مثل الورد في اليوم التالي بعد حفلة الزواج.

وانتهت حفلة الزواج التي انتشرت شائعات عنها في المدينة. وخلال ثلاثة أيام قامت السلائف الست بتنظيف الأواني، وغسلن السفرات والمناشف، وعلقنها على الحبل.

(*) قطعت رغيفاً أحضرته: حسب العادات الأوزبكية تأتي الخاطبات بشمانية أو عشرة أرغفة، وتضع صاحبة البيت بعضاً منها على المائدة، فإن قبلت الخطبة تقطع رغيفاً منها وإلا فتتركها. (الترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

جلست الأم في السقيفة، كانت تسبّح، ولا تتدخل في أعمال الكنائس، بل تنظر إليهن، وتأتي الكنة الوسطى إليها كثيراً، لتعدل المخدة وتجدد الشاي.

أما إنابت فاستحيت أن تقف بلا عمل أمامهن، وساعدتهن قليلاً، وجهّزت الكنة الوسطى الشاي، وذهبت إلى العجوز، وكانت سلفتها الصغيرة جالسة بجانب إنابت، ودفعتها بهدوء وقالت لها:

- هل ترين الجاسوسة؟ احذري منها، إنها عميلة العجوز الشريرة.

استغربت إنابت وضحكت ضحكة مكتومة.

- لا تضحكي، يا سلفتي العزيزة، سوف تعرفينها عندما سيحدث معك شيء ما.

ولم يمرّ أسبوع حتى انكشفت أسرار هذا البيت لإنابت.

وأصبحت إنابت زوجة للابن السابع، وكان للعجوز سبعة أبناء، ربّتهم كلهم، وعلمتهم، ولا يفعل الأبناء أي شيء إلا بإذن الأم، ويأتون برواتبهم ومكاسبهم

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

ويقدمونها لها، ويأكل الأبناء السبعة والكنائن السبع من قدر واحد، ولا تستطيع إحداهن أن تطبخ بنفسها، وقد أخذت العجوز مفتاح المستودع، وربطته إلى زر بدلتها، وكانت تدخل إلى المطبخ كل يوم بلوازم الطبخ، ولا تخرج منه إلا بعد أن تغلي القدر.

وتوكل العجوز كنتها الوسطى بهذه الأمور عندما تذهب إلى مكان ما، وحينئذ أيضاً يبقى المفتاح عندها، وتعطي كنتها لوازم الطبخ في كيس فقط.

طبعاً، لا تضيق العجوز على كنائنها في المعيشة، ولكنها تتصرف حسب خطة مرسومة، ودون أن تبذر في لوازم الطبخ، وفي المساء عندما يقدم الطعام، ويبقى شيء زائد منه، تبدأ تثرثر، وتجبر الجميع على أن يأكلوه حتى آخره، وإلا تأكله مضطرة بنفسها.

وكانت الكنائن كلهن يعملن، وفي الصباح بعد الفطور تدخل العجوز إلى غرفتها، وتخرج منها بمحفطتها، وتعطي لكل ابن «سوماً» (*) واحداً، ولكل من

(* «سوم»: تسمية أوزبكية للعملة النقدية الروسية وهي «روبل»، وفي الروبل الواحد مائة كوبيك يسمى بالأوزبكية «تين». (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

الكنائن نصف «سوم»، أما أحفادها اللذين يذهبون إلى المدارس فتعطيهم عشرة «تيينات»، ثم تدخل غرفتها بحفظتها.

وفي اليوم الخامس عشر من كل شهر يأتي أبناؤها وكنائنها برواتبهم واحداً واحداً، ويضعونها أمامها، وتعدّها العجوز بلا استعجال، وتعبس إذا كان المبلغ أقل من ألف «سوم».

وكانت هناك عادة أخرى للعجوز، ففي المساء عندما يدخل الأبناء والكنائن إلى غرفهم كانت تنظر إلى المداخل أمام أبواب غرفهم، وتفحص أحذيتهم، وإن وجدت حذاء أحد ما قد مزق أو يحتاج لصيانة فإنها تجمعها وفي اليوم التالي تذهب بها إلى محل الإسكافي وتصلحها حتى ينتهي الدوام.

باختصار، كانت العجوز في هذا البيت مثل "المارشال". وكانت كل صغيرة وكبيرة في البيت تحت نظرها وإدارتها، وفي المساء كانت الأسر السبع تجتمع في السقيفة، لأنه لم يكن هناك غير تلفاز واحد لهذه الأسر السبع، وكانوا يشاهدونه جميعاً، وإن بدأت العجوز

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

تتشاءب تغلق الكنة الوسطى التلفاز فوراً، وإن لم يكتمل عرض الفلم أو الحفلة الموسيقية.

وكانت الكنائن تخاف من هذه العجوز ومن هذه الكنة الوسطى بالذات، وإن كان هناك أي نزاع في البيت فسببه الكنة الوسطى، فهي تتمشى في الليالي بجانب نوافذ سلاتفها، وتستمع إلى كلامهن، وتخبر به العجوز في صباح اليوم التالي، وإن كان هناك شيء في الليل لدى أسرة من هذه الأسر فإن العجوز كانت تذيعه في الصباح قبل شروق الشمس.

وخالصة الكلام، كان هذا البيت يشبه مملكة، لها مليكتها ووزيرتها، وكانت لهذه «المملكة» قوانينها وأنظمتها.

ولم تنتبه إنابت في البداية إلى هذه الأشياء وهي تستمتع بحياتها كعروس، ولم تزعجها الكنة الوسطى لكونها عروساً جديدة. وبعد مرور شهر تقريباً انكشف «نقصان» إنابت أيضاً.

وفي صباح أحد الأيام خلال الفطور سكت العجوز

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

كأس الشاي التي قدمتها لها إنابت في صحن الفناء
قائلة:

- أنا لا أشرب الشاي من يد امرأة قلبها أسود.

استغربت إنابت، وصبت الكنة الوسطى شاياً آخر،
وقدمته للعجوز، وهي تتقدم قليلاً منحنية، وتمسك
بأصبعها الخنصر كم يدها التي تقدم بها الشاي، فأخذته
العجوز.

وسكبت إنابت شايتها في صحن الفناء أيضاً،
وقامت ودخلت إلى غرفتها وشفقت الباب بشدة، وأراد
زوجها أن يقوم من مكانه ليدخل وراءها، ولكن العجوز
نظرت إليه عابسة، فبقي جالساً في مكانه.

وكانت سلفتها الصغرى في منتهي الصبر، ودقت
نافذة إنابت حين ذهبت العجوز إلى بيت أحد أبناء
أختها، وتحدثتا عن شيء ما بصوت مهموس لكيلا
تسمع السلفة الوسطى، التي كانت تكنس السقيفة.

- لا بد من تأديب العجوز، إنها تجاوزت كل الحدود، أما
أبنائها فيزعلون عندما نتحدث عن أمهم.

واجتمعت السلائف الست أمام السقيفة بعد أن

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

أكملت السلفة الوسطى كنسها، وحملت سلة، وخرجت إلى الشارع، وتهامسن طويلاً، وعندما رجعت السلفة الوسطى تفرقن، وذهبت كل واحدة إلى غرفتها، وبقيت إنابت وحدها في الفناء.

- اسمعي، أنت عروس جديدة، ولا تسمعي كلام هؤلاء المفتربات، وإن سمعت كلامي سيكون كل شيء على ما يرام. هل تعرفين لماذا سكبت أمي (*) الشاي الذي قدمته لها؟

- لا، - أجابت إنابت واهتمت بمعرفة سبب ذلك التصرف.

- إنك قدمت الشاي بيدك اليسرى، والإنسان ذو القلب الأسود هو الذي يقدم الشاي بيده اليسرى.

اندهشت إنابت، ثم قالت:

- لا، هل هذا كلام معقول؟ وأنا تزوجت من ابنها أو من أمه؟! قولي لها لتجلس داعية لأبنائها، وإلا سأضعها في فرامة اللحم.

(*) «أمي»: تسمي الكنة حماتها بـ «الأم» حسب العادات الأوزبكية. (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

رفعت سلفتها حاجبيها وقالت:

- ياه! لديك لسان طويل. ستصبحين عاقلة عندما
تسمعين كلمتين مُرتين من حماتي، فاعرفي، و العجوز
هنا في هذا البيت هي صاحبة القرار.

وبعد هذا الحديث بدأت العجوز تتعامل مع إنابت
بغير مودة، وأما السلائف الست فكن يتهامسن كل يوم،
ويتشاورن حول شيء ما.

واتضحت مشاوراتهن في يوم الأحد صباحاً.

عندما استيقظت العجوز في الصباح، وذهبت
لتتوضأ، كانت الطاولة الكبيرة في السقيفة مفروشة
بسفرة حمراء، واجتمعت الكنائن والأبناء، وكانوا
يجلسون صامتين، وانتظروا حتى تتوضأ العجوز وتصلي،
وبعدما صلت العجوز نادتها إنابت:

- يا أمي، تعالي إلى هنا!

- أيوا، ماذا حدث؟ هل هذا بيت أو إدارة؟ ولماذا
اجتمعتم؟ هل هناك اجتماع؟

قالت الكنة الأكبر من إنابت:

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

- ليس اجتماعاً، بل إنها محكمة، يا أمي، تعالي هنا!
ثرثرت العجوز شيئاً ما، وبدأت تبتعد، وقالت
الكنة الكبرى:

- إذا لم تأتي، سنحكم عليك غيابياً.
فكرت العجوز أن هذا شيء مضحك، واقتربت من
السقيفة وجلست على حافتها.

وقامت إنابت من مكانها وقالت:

- اجتماع المحكمة مفتوح، هناك مسألة واحدة، وهي
شكوى الكنائس السبع من حماتهن، وإصدار الحكم
عليها على أساس قانون الإجراءات الجنائية، هل
لديكن أية إضافات؟ لا، لا يوجد، إذن، نستمع إلى
كلمة الكنة الكبرى، يا أيتها المدعية، قومي، وقولي!

وقامت الكنة الكبرى من مكانها خائفة، وهي لا
تجرؤ على النظر في وجه عمته، وبدأت تتكلم:

- لقد مرت أربع عشرة سنة منذ أتيت كعروس إلى هذا
البيت، وأنا بين يدي هذه العجوز، وخلال هذه السنوات
الأربع عشرة كنت كأنني لا أعيش في بيتي، بل في
بيت للإيجار، أما زوجي فهو لين مثل خرقة، ولم أحس

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

بالراحة يوماً في حياتي الزوجية، والله أقول الحق،
وربما لا تصدقن، خلال هذه السنوات الأربع عشرة لم
أقطع عنقود عنب في هذا الفناء، وبإمكانكم فهم
الباقى.

وجلست الكنة الكبرى، ثم قامت الكنة الثانية
وقالت:

- إنها تقول لي دائماً « أنت بنت الممثلة، ومثلت أمك
دور الساحرة على خشبة المسرح، لا تجلسي على
فراشي، لا تشربي من كأسى، وأنت ستقومين
بسحري»، ولقد مرضت بالزكام قبل سبع سنين، ومنذ
ذلك الوقت أصبح اسمي «مخاط»...

وحاولت العجوز أن تقوم من مكانها، ولكن إنابت
قالت بجرأة:

- اجلسي!

وجلست العجوز، ولم يكن واضحاً، هل كانت
خائفةً، أو حيرى، أو غضبى!

وقامت الكنة الوسطى من مكانها وكذبت كلام
الأخريات:

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

- ليت كل الأمهات يكنّ مثلها، وهي مثالية، وبفضلها
فإن معيشتنا كاملة، ونحن مبسوطون من قلوبنا، وأنا
لم أوقع الشكوى.
وهاجمتها الأخريات.

- أنت عميلة حماتنا، وتخبرينها دائماً عنا، وأصبحت
قريبة لها بعد أن ساعدتها في تركيب الأسنان
الاصطناعية، ومن سمح لك بالحديث؟

وقامت العجوز من مكانها وصاحت في أبنائها:

- أي رجال أنتم؟ تهاجمني زوجاتكم، وأنتم تشاهدونني؟
وأحنى أبنائها رؤوسهم، وهم ينظرون إلى الأرض،
ويضحكون ضحكاً مكتوماً.

ورفعت إنابت ورقة بيدها:

- استمعوا! أعلن الحكم، نحن نوافق على أن نعيش في
هذا البيت، إذا أعطتنا حماتنا مفتاح المستودع، وإذا
سمحت لكل أسرة بمعيشة مستقلة، ولم تأخذ رواتبنا،
وإذا لم ترض بشروطنا سنغادر البيت، وإدارتنا في
العمل تقدم شقة لكل منا. هل أنت راضية بشروطنا؟

- كلاً! - قالت العجوز، وقامت من مكانها ولوحت بيدها ودخلت غرفتها.

ووقف الجميع مشدوهين مفتوحى الأفواه، ونظر بعضهم إلى بعض، كأنهم يسألون «وماذا نفع الآن؟» ورفعت إنابت صوتها، وبدأت تتحدث لكي تسمع العجوز من داخل البيت:

- وأما إذا قبلت حماتنا بشروطنا فسيعطيها كل منّا خمسة «سومات» كل شهر، أي الأبناء السبعة والكنائن السبع نعطيها خمسة «سومات» فيكون المجموع سبعين «سوماً»، ولا تدخل في هذا مصروفات الأكل والملابس، وكذلك مصروفات زياراتها للضيافات على رقبتنا أيضاً.

وأغلقت العجوز الباب بقوة، كأنها تقول «اسكتي!».

وفقدت الكنائن ثقتهن بأنفسهن بعد هذه المحاولات التي لم تؤثر على العجوز، وبدأن ينظرن بعضهن إلى بعض، وغمزت إنابت لهن، ثم قالت بصوت عالٍ أيضاً:

- إن الحكم نهائي، وتعطى مهلة لساعة واحدة للرد أو

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

الاعتراض، وبعد ساعة واحدة يذهب كل منا إلى السوق ليحضر شاحنة، ويبدأ الانتقال إلى حي تشيلانزار، ويمكنكم الانصراف.

ويصرف الباب، ويُفتح بهدوء، ويظهر رأس العجوز.

- وللهزل حد، تباً لحركاتكن!

- هذا ليس هزلاً، بل إنه صدق. ومنتظر ردك خلال ساعة.

ورجعت العجوز ببطء، وجلست في مكانها، وقالت:

- طيب، وماذا تردن أن أفعل؟

- أعطينا حريتنا، ولأكبر كنائك ثلاثة أطفال، ولتقم بعيشتها بنفسها، وكذلك الأخريات، وأنت تختارين ما شئت من بين الطبخات السبع التي تجهزها الكنائس السبع، وتتمتعين بها بكل احترام.

- هل تردن الطبخ في سبع قدور في يوم واحد؟

- طبعاً، وكل منّا يأكل ما يشاء.

تمت العجوز.

- أنت أثرت على الكنائن اللواتي لم يقلن شيئاً طول هذه السنين، وأنت أثرتِ على ابني، - قالت العجوز ونظرت إلى إنايت غاضبة.

- هل أنت راضية أم لا؟ - سألت إنايت، وقد فهمت أن العجوز تنازلت قليلاً ولذلك استمرت لكيلا يفتر الحديث.

أما العجوز فغضبت أكثر:

- إن أردتم الانتقال، فانتقلوا، سأعرض البيت للإيجار، وأقيم الدعوى عليكم في المحكمة وأطلب النفقة.

ضربت إنايت على الطاولة بكفها.

- طيب، بقيت خمس دقائق من المهلة، وليذهب أحدكم للسوق ليحضر شاحنة، وسننتقل بسبع شاحنات.

وارتبكت العجوز، وجالت عيونها، وقد وصلت الكنة الكبرى إلى الباب قبل أن تقول العجوز شيئاً ما.

- قفي! لا تستعجلي!

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

قالت العجوز، ثم دخلت غرفتها، وخرجت بعد قليل، ورمت المفتاح في صحن الفناء.

- خذن! وإن أردتن، اطبخن في عشر قدور! وماذا يحتاج بطني الوحيد؟ افعلن ما تشأن.

وزادت إنابت:

- نحن، الكنائن وأبناءك، حسبنا وعرفنا، إن هناك مبلغ ستة عشر ألف «سوم» توفرت من النقود التي أعطيناك إياها، فعليك توزيعها علينا جميعاً.

- لن أعطيك شيئاً! ليس لكم أي «تين»، ولماذا أعطيك ما جمعته لأجل مراسيم دفني؟

وقالت الكنائن كلهن سويّاً:

- طيب، طيب، لتحفظها، ولكنها لاتأخذ شيئاً بعد ذلك.

وسكتت العجوز، وكأنها كانت شاكرة لأن النقود بقيت معها.

وفي نهار ذلك اليوم أقام الأبناء السبعة مواعِد في

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

سبعة أماكن من الفناء، وفي المساء غلت سبع قدور في نفس الوقت.

وزاد نفوذ واحترام العجوز، وكانت الكنائس السبع ينادينها من الجهات السبع بأصواتهن اللينة، ويقلن:
- يا أمي، الأرز جاهز، تعالي؛ يا أمي طبخت «لغمان»،
تعالي إلينا!

ولم تذهب العجوز بغضب لأي واحدة منهن، وامتلات المائدة في السقيفة بأكلات مختلفة بينما كانت العجوز تصلي العصر، وكان هناك «لغمان»، والأرز، و«الشولة»، والشورية أيضاً، و«شيشبراك»، و«قاورما» (*) في صف واحد.

وتذوقت العجوز قليلاً من كل أكلة، وقالت في نفسها: «إن صغيرتي تطبخ أفضل».

وغرقت العجوز في الاحترام، وكانت إحدى الكنائس تفرش، وأخرى تصنع الشاي، وتنظف الثالثة حذاءها، وتأتي الرابعة بصابون معطر جديد... أما كنتها الصغرى

(*) «لغمان»، والأرز، و«الشولة»، والشورية، و«شيشبراك»، و«قاورما»:
أكلات شعبية أوزبكية. (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

فجاءت بكأس كبيرة ملأى بعصير البطيخ، ثم وضعت
منديلاً على كتفيها:

- اربطيه في الليل، ولا تتعرضي للزكام، يا أمي
العزيزة.

ومازالت العجوز غاضبة حتى الآن، ولكنها اعترفت
فجأة بعدالة الأمر، عندما استلقت ووضعت رأسها على
المخدة، وأغلقت عينيها.

- كنت أتعب نفسي طوال هذه الفترة، هل هذا كله
ضروري لي؟! فليتصرفوا كما يشاؤون! ومن كلفني أن
أكون «الأم الحاجة»؟

نامت العجوز غارقة في هذه الأفكار، وهي تنام
لأول مرة نوماً هادئاً منذ أن بدأت تُزوّج أبناءها.

وأطفأت الكنة الكبرى المصباح لكيلا تزعجها في
نومها.

وتمشت الكنة الوسطى في الفناء ليلاً، وهي لا
تستطيع أن تتعود العادة الجديدة، واستمعت إلى نوافذ
الكنائن واحدةً واحدةً، وفي الصباح بدأت تهمس في أذن
العجوز شيئاً ما، فقاطعتها العجوز:

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

- يا بنتي، اتركي عادتك هذه. أنا استقلت من وظيفة
«الأم الحاجة»، وأقيلك أيضاً من وظيفة «الjasوسة».
وسمعت الكنائن كلهن هذا الحديث، وضحك
ضحكة عالية.

ومنذ خمس عشرة سنة تغلى سبعة «سماورات» -
أباريق الشاي - في هذه الدار في آن واحد...

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

أمانة القيامة

أولماس عمربيكوف (*)

Ulmas Umarbekov

طلعت الشمس وارتفعت عن الأرض بمقدار قطعة

شمام عندما وصل «الأب سرسان باي» إلى وسط

(*) أولماس عمربيكوف، (1932-1995م) وُلد في طشقند، نشرت له الرواية «إنه من الصعب أن يكون إنساناً»، ومسرحيات «أمانة القيامة»، و«لا تسرع، أيتها الشمس»، و«المحكمة» و«اللجنة»، و«اليوم الأول من الخريف» وغيرها. وكذلك نشر له كتاب «اللقاء عند الثلوج العالية» (في اللغة الروسية)، وعدد كبير من القصص القصيرة والطويلة. وكان وزير الثقافة في أوزبكستان، ورئيس اللجنة في منظمة التضامن لدول آسيا وإفريقيا، وكان نائب رئيس مجلس الوزراء في أوزبكستان.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

المنطقة. الناس في السوق قليلون، ولا يعرف هل سبب ذلك أن الوقت مبكر أو أن الجو بدأ يبرد ويقل عدد الذين يريدون التسوق، ولا توجد الأصوات والضجة المعتادة التي تكون في أيام السوق(*)، وفرح الرجل المسن وقال لنفسه: «هذا جيد، ولم أتأخر في هذه المرة، والسوق في قمتها».

فكر بهذا وشد لجام جواده، وبدأ الجواد الذي كان يتنفس وأذناه قد تدلتا، يتجه إلى الأسفل في اتجاه النهر وكأنه كان ينتظر هذا الأمر، إنه يعرف هذه الأماكن جيداً مثل صاحبه، ويأتي كل يوم أحد إلى هذا المكان منذ أن كبر ووضع عليه سرج، وهو يعبر جبال "حصار"، ويتوقف عند «الشاي خانة» المبنية كأنها مؤقتة بجانب جسر خشبي ضيق. وتقام السوق منذ سنوات الحرب - من آخر الخريف إلى بداية الربيع - هنا في هذا المكان قرب النهر الذي توسع نتيجة فيضان السيل توسعاً غير منظم. ومن هنا ودّعوا إلى جبهة القتال شباباً اجتمعوا من أطراف

* يوم السوق: يوم واحد في نهاية الأسبوع أي يوم الأحد يخصص للسوق، وهناك مكان خاص يجتمع فيه المشتري والبائع من التجار والحرفيين والفلاحين والمزارعين، ولذلك نجد في اللغة الأوزبكية كلمة يوم السوق تستخدم بمعنى يوم الأحد. (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

مختلفة. والشاي خانة ذات أعمدة بالية خربة علامة من تلك السنوات القلقة...

وكان «الأب سمرسان باي» يربط جواده بأحد هذه الأعمدة في الأوقات الماضية، أما هو فكان يتجول في السوق أو يجلس في الشاي خانة حتى الظهر، وبعد انتهاء السوق يصلى صلاة الظهر ويرجع إلى بيته. ولم يستطع الجواد أن يعتاد على هذا النمط لمدة طويلة، وقطع حبله مرة أو مرتين وهرب، وأزعج أهل السوق كلها، ومرة أو مرتين توقف في منتصف الطريق بعناد، ورفض أن يمشي، وضرب بالسوط، أما الآن فقد اعتاد هذا الأمر، وصاحبه لا يربطه بحبل، وأصبح يصل بنفسه إلى العمود ويتوقف عنده وينتظر حتى يترجل صاحبه عنه، ثم يغلق عينيه ويرفع إحدى رجليه لثرتاح، ويقف في مكانه دون حركة.

وفي هذه المرة أيضاً حصل نفس الشيء، ونزل الأب سمرسان باي عن جواده عند العمود ودخل الشاي خانة. وتأوه الجواد ونظر حوله. وتحت الجسر كانت البقرة تلعق عجلها الذي قفّ شعره من البرد، وشعر الجواد بملل من النظر إليها، فتثاءب، ثم أغلق عينيه.

جلس الأب سرسان باي بجانب النافذة الكبيرة المكسورة الزجاج، وهذا المكان مخصص له من أول يوم بنيت فيه الشاي خانة، وإن جلس فيه أحد فإن يتركه عندما يرى «الأب سرسان باي»، ومن هنا يمكن مشاهدة ساحة السوق بشكل جيد، وكلٌّ من يعبر الجسر.

- كيف حالك، يا سرسان باي؟ - يقول صاحب الشاي خانة وهو يحضر شاياً ويسكب له ويضيف: - هل أتيت من جديد؟

- ماذا، هل أنا عبء عليك؟ - يرد سرسان باي بخشونة ويقطب حاجبيه النادرين اللذين اصفرأ من الشمس.
- لا تزعل، أقول هذا وأنا أشفق عليك، ولا شيء أسوأ من الانتظار.

لم يردّ الأب سرسان باي، كان مزاجه جيداً كأن نيته ستتحقق اليوم، ولكنه زعل من كلام صديقه. وكاد يقول:- «ما دخلك أنت؟ بع شايك!» ولكنه امتنع عن ذلك. إن كلام الأخ محمد عمر صحيح، لأن المسكين هذا انتظر ابنه عشر سنوات بعد أن وصلت رسالة تعزية له، وتعذبت زوجته بألم على ابنها دون رسالة أو خبر، وأصبح

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

نفسه نحيفاً، وأخيراً أعلن عزاءه، والآن هو مشغول في الشاي خانة.

وما قاله اليوم محمد عمر صحيح أيضاً، «أقول هذا وأنا أشفق عليك...» وهل حالته تحتاج إلى الإشفاق، فكّر سرسان باي هكذا، وخذش شيء ما قلبه. وارتعشت شفتاه، واهتزت لحيته الصفراء، وتوقف شيء ما في حلقه، وشعر أنه بدأ يرتخي، وصرخ عليه:

- يا أحمق، هل أنتظرك أنت، إن انتظرت؟! لا ينتظرك أحد إلا عزرائيل! أين أصبحت معلماً فتعلمني؟

ابتسم محمد عمر وقال:

- لا تزعل! أكاد أتقيأ عندما أرى وجهك كل سوق. أليس من الأفضل لك أن ترعى قطيعك في تلالك أو حقلك؟ ومن يحتاج إليك سيجدك. وطبعاً، أنت تعرف نفسك. وإن أردت فتم هنا. وأنا أقول، حتى لاتموت في الطريق وأنت وحدك، يا غبي!

- إن مت سيوجد مسلم يدفني، - قال سرسان باي وقد بدأ يهدأ، - الله يحفظني منك، إنك تقصر في عمل الشاي وبالتالي قد تقصر من كفني أيضاً.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

- قل هكذا! ها هو شاي ساخن صنعته جديداً، فاشرب!
وسكب محمد عمر له شايًا من إبريق صنعه جديداً،
وقدم له، وجلس بجانبه لأن الناس كانوا قليلين.
وسأله سرسان باي جاداً وقال:

- هل سمعت شيئاً ما؟

- لو سمعت لأرسلت إليك شخصاً، ولم أسمع أي
شيء...
وساد السكوت بينهما. وشعر محمد عمر بعدم
الراحة، وشرب قليلاً من الشاي، وأنه لم يرد ذلك.

- كيف حال «زبيبي»؟ هل هي بخير؟

- جيد، - أجاب سرسان باي ونظر إلى النافذة، - اليوم
رضيت عن ذهابي بصعوبة، علمت أنني سأتي إلى هنا
فطردت الجواد إلى الحقل في منتصف الليل.

وسأله محمد عمر قلقاً وقال:

- هل شتمتها؟ هل غضبتَ عليها؟

- لا، إنها مسكينة، وضعها صعب، وهل أشتم الآن؟

- لا تشتمها. ليس لها أحد سواك أنت..

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

- لن أشتتم، ولكن... - فجأة بدأ الأب سرسال باي
يضحك.

- ماذا؟ - استغرب محمد عمر.

- أنا لا أشتتمها، ولكن لماذا تطرد الجواد؟ إنها تعرف
أنني سأتي ولو على الأقدام. وعدا ذلك فإن جوادي
يجري إليّ عندما يسمع كحتي، وهي تعرف ذلك،
فلماذا تطرد الجواد؟

- إنها تشفق عليك، - قال محمد عمر، وحاول أن
يضحك أيضاً.

- ألا أشفق عليها؟! إني أشفق عليها أيضاً، والوحدة
سيئة. وأنت تعرف هذا. ولكن ماذا أفعل؟ إنها أمانة
القيامة! ولا أريد أن أدخل القبر وعليّ دين. وعليها
أن تفهم هذا! ثم...

- السلام عليكم!..

دخل الناس وانقطع الحديث، وقام محمد عمر من
مكانه.

وبعد قليل بدأت ضجة السوق كالعادة، اختلطت

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

صيحات الأطفال بخوار الأبقار والعجول وكلمات السماسرة مثل «هيا، اتفقنا، على البركة» وأصبح النهر حياً مثل فيضان الربيع، وقد ساد فيه السكون قبل قليل.

نظر الأب سمرسان باي إلى النافذة من جديد، ومن كثرة العابرين كان الجسر يهتز مثل الجمال، ومثله كان يهتز آنذاك... عندما ودّع ابنه، وعندما ودّع حيدر علي...

ولكن آنذاك كان الناس يتجهون في اتجاه واحد، والكثير منهم لم يعبر هذا الجسر مرة أخرى، استشهد بعضهم، وضاع الآخر دون نبأ. ولم يكن أي خبر من ابنه خلال نصف سنة، ثم فجأة جاءت رسالة تعزية، وكان يومها في «أوزملي» يرعى قطيعه، وكان يرعى الأغنام في الحقل الذي بدأ ينمو فيه العشب في الجانب الآخر من النهر، وجلس تحت «قلعة الحجر» التي تهدمت وبقيت أسوارها فقط، ويذكر أنه عندما حل الزوال أراد أن يتغدى وأخرج من كيسه لبننة، وسمع صوت امرأة تبكي بصوت عالٍ في طرف القرية. ويعكس الجبل صوت البكاء، وكان الصدى قوياً جداً، وارتعش الأب سمرسان

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

باي، ووقف ونظر إلى الأسفل، كانت هناك امرأة بشعر منكوش جاءت إلى ساحل النهر وهي تحرش وجهها، ولم يعرفها الأب سرسان باي في البداية، وعندما نزل إلى الأسفل قليلاً عرفها من فستانها الأزرق... عرفها وانقبض قلبه.

- زيبي! أنا هنا، يا زيبي! - قال واندفع إلى الأسفل.-
لماذا تصرخين؟ ماذا حدث؟ - أمسكها الأب سرسان باي من يديها وهزّها.

- غفور... غفورجان... - لم تستطع الخالة زيبي أن تتحدث، وسلمت لزوجها ورقة تمسكها وهي تبكي بصوت عالٍ.

رأى الأب سرسان باي ورقة صغيرة زرقاء، وفهم كل شيء. وتسلم الأخ محمد عمر أيضاً عن ابنه رسالة مثلها... لم يقرأ الأب سرسان باي، ووقف في مكانه وتجمدت يداه ورجلاه، وأعطاه الله ولداً وحيداً ورآه كثيراً.

وضاع حيدر علي بدون أي خبر عنه ولقد ذهب إلى الجبهة بعد والده بشهر. ودّع ابن صديقه إلى مركز المنطقة، ولم يبق عنده أحد يودعه.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

ويوم ذهابه جاء بغنمتين على العربية التي يسحبها
الحمار، حين مرت سنة على وصول رسالة تعزية عن
غفورجان.

- يا عمي، احفظهما عندك، - قال وهو خجلان، - كان
أبي يحب الغنم، وإن عاد نعمل حفلة العرس... إن لم
يكن هناك أي إحراج...

- نعم، يا بني، - قال الأب سمرسان باي، - سأضعهما
مع القطيع، وليس هناك أي إحراج.

عندما ودّع حيدر علي ارتعش قلبه كأنه ودّع ابنه
على الجسر.

- في أمان الله، يا بني - قال، ولكيلا يظهر عينيه
الدامعتين نظر في كيس وضعت زوجته فيه بعض
الأشياء، وقدمه له وقال: - «خذه، من خالتك».

- شكراً.

- إن كان في إمكانك زر قبر غفور، إنه في ستالينغراد.

ولا يعرف الأب سمرسان باي هل سمع حيدر علي
كلامه الذي قاله بين أصوات الناس والضجة أو لا، ولكنه
رآه يهز رأسه ويقول شيئاً ما.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

هكذا، مرت أكثر من عشرين سنة. ولم يزر حيدرعلي ابنه، ولم يرسل أي خبر عن نفسه، والغنمستان اللتان تركهما عنده تكاثرتا وصار العدد أكثر من أربعين، وربط الأب سرسان باي على عنق كل منها خرقة حمراء لكيلا تختلط مع الأخريات. ولكنه لم يعد، ولا يعرف أحد هل هو حي أو مات. ولم تبق أية إدارة هناك لم يذهب إليها الأب سرسان باي، ولم يبق أي أحد هناك لم يسأله عنه، وهل من السهل أن يجد شخصاً لا يعرف اسم عائلته، ولا عنوانه؟

- يا سرسان باي، اسمع، لا تذهب إلى أي مكان، ولا تتعب نفسك، - نصحه أحد أصدقائه، ثم قال:

- إن عاد الإنسان من جحيم الحرب سليماً فهل يأتي إليك ليطلب منك غنمته اللتين تركهما منذ زمن؟! الحمد لله الآن النعم متوفرة، وإن كان هناك أي حاجة للغنم فالسوق مليئة بها، ومن الأفضل، أن تذهب إلى السوق، وأنت تعرفه، فإذا كان حياً وكان هناك ستراه.

وجد سرسان باي هذا الكلام معقولاً، ومنذ ذلك الوقت لا يترك أي يوم من أيام السوق، وفي الأيام

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

الأخرى يرعى قطيعه في التلال والحقول، وفي نهاية الأسبوع يعود إلى بيته. وقال له الرئيس عدة مرات: «كفى، أيها الأب سمران باي، إنك اشتغلت كثيراً، ربما يكفي، أما الآن فليعمل الشباب!» ولم يسمع الأب سمران باي كلامه، وكيف يستطيع أن يسمع كلامه، وعليه أن يرعى أغنام حيدر علي؟! ومن يرعى قطع غيره وهو لا يعرفه؟

أما الشيخوخة فيبدو أنها تأخذ حقها... في الماضي كان لا يتعب وهو يقف عدة أسابيع على الأقدام، والآن يتعب خلال نصف يوم، ويريد أن يجلس. ذات يوم كان يجلس في تلال أوزملي بعد أن تعب، وسمع صوت طلقة رصاص من جانب النهر. ونزل إلى الأسفل خوفاً من أن يطلق أحد الرصاص على الأغنام.

كان تحت شجرة العنب المشبكة بشجرة الصنوبر بضعة شباب وضعوا زجاجة على حجر كبير، وأخذوا يطلقون الرصاص عليها، وراه أحدهم وقال:

- يا أبي، هل اصطدمت كل الطيور الحجل، وملحتموها؟
ولا طائر هنا؟

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

- صيد الحجل يكون في الشتاء، يا بنيّ. هل أتيتم إلى الصيد؟
- نعم، أتينا للصيد، قالوا إنه هنا توجد طيور الحجل.
- نعم، توجد، وهي كثيرة، ولكنها تكون في الشتاء.
- يا أبي! - صاح شاب يجلس تحت شجرة الصنوبر، - تعال هنا، واشرب هذا معنا.
- صب الشاب شراباً ملء الكأس وقدمه له.
- لا أشرب، يا بنيّ، - قال الأب سرسان باي وابتسم: - لم أشرب أبداً.
- جرّب مرة واحدة، ثم نتحدث، - أصرّ الشاب وقام إليه متهادياً وقال: - خذه.
- أنا لا أشرب، يا بني، - قال سرسان باي ودفع الكأس، - قل كل ما تريد وأنا استمع إليك، ولكنني لا أشرب.
- كفى، لا تجبر الرجل! - قال واحد من الذين يضعون الرصاص في البندقية.
- طيب، إذن، سأشرب بنفسي، - شرب الشاب الكأس المليء ونفخ، ثم قال:

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

- يا أباي، الصيد هو سبب، فنحن أتينا إلى هنا
للاستراحة، بع واحدة من أغنامك، وسنعمل منها شيئاً
ما هنا ثم نغادر.

أحنى سرسان باي رأسه وسكت، ثم ابتسم ويحياء،
وقال:

- للأسف، لا أستطيع البيع، يا بني، وهذه الأغنام ليست
لي، وإذا مررتم بالقرية فستجد الغنم في أي بيت،
وأنا أعطيك بنفسني أيضاً، ولكن هذه أمانة، وإلا
أعطيتكم بكل سرور!..

- هكذا تقول؟

- نعم، هكذا، يا بني.

- وما رأيك، نأخذ واحدة بأنفسنا، - ابتسم الشاب.

- لن تفعل هذا، قلت لك إنها أمانة، يا بني.

غضب الشاب:

- يبدو أنك بخيل، ما هي الغنم؟ هل هي أفضل من
الإنسان؟ يا «أكبر»!

- ماذا تقول؟ - ردّ عليه أحد الشباب.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

- هيا، لناخذ إحداها ونحضرها هنا، وسنخبر الرئيس بأنفسنا.

بدأ الشباب يتجهون إلى "قلعة الحجر".

- قفوا! - صاح الأب سرسان باي، - هل أنتم أبناء مسلمين؟ قلت لكم إنها ليست لي! وليس صاحب هذه الأغنام هنا، لقد ضاع في الحرب، وأنا أراعيها منذ عشرين سنة... هل لديكم شيء من الإنصاف؟

توقف الشباب، ثم رجعوا إلى الوراء واحداً واحداً.

وقال أحدهم:

- معذرة، لم نعرف ذلك.

سكت سرسان باي، وتغير وجهه، وارتعشت شفثاه.

- معذرة، يا أبي!

سكت الأب سرسان باي في هذه المرة أيضاً، ثم توجه إلى القلعة بخطوات هادئة.

عندما تحدث عن هذا للأخ محمد عمر، ظل يفكر،

ثم قال:

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

- لا تزعل، سأقول لك شيئاً.

- ماذا؟

- أعط هذه الأغنام إلى المزرعة التعاونية، وهذا أفضل، ولا تعذب نفسك، ثم ما هو الفرق بين أن تكون الأغنام عندك أو عند المزرعة التعاونية، هل تأكلها المزرعة التعاونية؟ سترجعها عندما يعود حيدر علي.

ولم يردّ الأب سrsan باي.

ها هو الآن ينظر إلى السوق، ولا تترك نصيحة صديقه هذه خياله، ولكنه لا يعرف ماذا يفعل، وعندما حل الزوال قلّ الناس في السوق، ولم يبق فيها إلا من لم يتمكن من بيع بضائعه ومن جاء للتجول فقط. وضاع المزاج الجيد الذي كان عند الأب سrsan باي من الصباح: وفي هذه المرة لم يلاق شخصاً يشبه حيدر علي.

«هل صحيح أنه مات؟ - خاف من هذه الفكرة المدهشة التي جاءت في باله، - لا، لا يمكن أن يكون الموت بهذا القدر. لقد عاد الكثير ممن ضاعوا في الحرب، وليس غريباً أن يعود. ولو أراد أن يقيم حفلة العرس،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

لشاركت في حفلته أيضاً، ولأقمت حفلة العرس له
بنفسي...».

جلس طويلاً مستغرقاً في مثل هذه الخواطر، حتى
انتهى السوق وانتشر الجميع تقريباً، وبدت تهب رائحة
الرز من المطبخ، أما الرجل المسن فظل في مكانه جالسا
لا يتحرك.

- يا سrsan باي!

انتبه الأب سrsan باي إلى نفسه والتفت. وكان
الأخ محمد عمر واقفاً أمامه.

- كفى الآن، اعمل ما قلت لك، وإلا ستنحف.

و لم يرد الأب سrsan باي، وأخرج «سوماً» واحداً
من ساق حذائه، ووضعها في الصحن، وقام.

- هل تغادر؟ طبخت الأرز، كل ثم غادر.

- في المرة القادمة، - نزل الأب سrsan باي عن السرير
واتجه إلى الباب وقال: - إلى اللقاء.

عندما خرج من الباب رجع كأنما تذكر شيئاً ما.

- كيف لا تفهم أنت أيضاً، يا ترى؟! أخذت منه بنفسني،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

وعلي أن أرجع له بنفسى ويدي...

ولم يردّ الأخ محمد عمر، ولما خرج صديقه قال:

- بلغ تحياتى لزيبى!

رفع الجواد أذنيه لما رأى صاحبه، وهز رأسه مرة أو

مرتين، واقترب من السلم. وركب الأب سرجان باي على

سرج الجواد بسهولة وأخذ لجامه:

- هيا!

وذهب الجواد بخطوات واثقة على الطريق المعروف، وكان

في مشيته أمل مثل ما كان في قلب صاحبه!

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

الوليمة

أوتكير هاشيموف (*)
Otkir Hashimov

مضى أكثر من شهر على انتقال البروفسور «عابد

رسوليفيتش» إلى حي جديد. ذات يوم في الصباح الباكر

*) ولد عام 1941م في طشقند، نشرت له أول مجموعة مقالات عام 1962م بعنوان «الفارس الفولاذي»، ثم نشرت له مجموعات قصصية كثيرة، منها «هواء الصحراء»، و«ماذا يقول الناس...»، و«وتهب الرياح»، و«الربيع لن يعود»، وغيرها، ورواياته «إن كان ضوء، فشمسة ظل»، و«ما بين البابين»، و«العمر الذي مضى في الحلم»، والمسرحيات مثل «هم شخص آخر»، و«عرس مبروك»، و«وفاء الإنسان» وغيرها. قام بترجمة مؤلفات هيمينغوي، وسيمونوف، وكوبرين، وبرهولتس إلى اللغة الأوزبكية، =

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

قبل طلوع الشمس دقّ جرس الباب، ولبس البروفسور ثوبه وفتح الباب، ورأى هناك جاره «خالق تجنك» واقفاً: - يا أستاذ، هل ينام الإنسان حتى الظهر؟ - سأله الجار صائحاً، وقال: - استعد بسرعة، لنذهب!

تعوّد عابد رسوليڤيتش أن يعمل في الليل، ولذلك ينزعج من النهوض باكراً.

- إلى أين؟ - سأله متردداً.

- كيف «إلى أين»؟ إلى الوليمة! هناك رز بخاري! - وشرح «خالق تجنك» ملوحاً يده كأنه يقول: «ألا تعرف هذا؟» ثم قال:

- إن نسيب «شاكر وغبوغ» يقيم حفلة بمناسبة ختان ابن أخ له، استعد بسرعة، هناك باص جاهز ينتظرنا.

أراد البروفسور أن يسأل من هو «شاكر وغبوغ»؟ و«من هو نسيبه؟» ولكنه خجل أن يعترض على رأي

= وكذلك ترجمت مؤلفاته إلى مختلف اللغات الأجنبية. عمل رئيس هيئة التحرير في مجلة «شرق يولدوزي» («نجمة الشرق»)، وفي الوقت الحاضر هو رئيس اللجنة في المجلس الأعلى - برلمان أوزبكستان.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

جاره، فهو جار له على كل حال، ويراه دائماً، وعدا ذلك
فلقبه «تجنك» (*).

وبداً يمشیان، أحدهما طويل القامة، والآخر قصير
القامة، وفي الطريق طرقت «خالق تجنك» أبواب ستة
بيوت، وأيقظ الناس، وفي الحقيقة كان هناك باص
ينتظرهم أمام «الشاي خانة»، وبدأت الدنيا تنير لما
وصلوا من حي «أكتوبر» إلى حي «قويلىق». وعندما
خرجوا إلى الشارع بعد تناول الرز البخاري أنارت الدنيا
تماماً.

- أما الطباخ فقد طبخ الرز بشكل رائع، أحسن! مدح
«خالق تجنك» الطباخ من صميم قلبه، - شكراً له!

ثم توجه إلى البروفسور فسأله:

- ربما أنك تذهب إلى العمل، طيب، أريد أن أصافح يدك
التي أكلت بها الرز، وأنا سأكون في «الشاي خانة»..
وما رأيك، إن وجدت أكلة شعبية، مثلاً، مثل
«المضغوط»؟

(* «تجنك»: تعني في اللغة الأوزبكية «غاضب»، «زعلان». (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

- لا، لا، شكراً، اعترض البروفسور مسرعاً، وهزّ رأسه وقال: - استمتعوا بأنفسكم...

يعمل «خالق تجنك» حارساً في إحدى الأسواق، يداوم يوماً ويستريح يومين، ويقضي وقته في راحة واطمئنان.

وصافح «خالق تجنك» البروفسور وقال:

- طيب، إذن! لعلك تأتي إلى «الشاي خانة»، نحن ممن يحمل التابوت، يا أستاذ!

- طبعاً، طبعاً، - خجل عابد رسوليفيتش، وهزّ رأسه ومشى في طريقه. وأوجعه رأسه طوال النهار بسبب عدم تعوده للنهوض في الصباح باكراً... وفي مساء نفس اليوم كان اجتماع المجلس العلمي، وطال الاجتماع بسبب كثرة مسأله واستمرّ حتى منتصف الليل، وعاد البروفسور إلى البيت وتناول كوباً من الشاي فقط ووقد للنوم.

ولم يعرف كم استغرق نومه، فقد طُرق الباب أقوى من أمس، ونظر البروفسور في خوف إلى ساعته، وكانت

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الساعة الخامسة والنصف، وأسرع الزوج والزوجة إلى الباب، فوجدا «خالق تجنك» واقفاً أمام الباب.

- يا أستاذ، هل وُلدت في سنة النوم، وتحت برج المخلدة؟ ما هذا؟ قال وهو يمزح، - شارك الناس، وهذا أفضل، أو تنام مثل قطة بجانب الفرن الهولندي؟
نظر البروفسور إلى جاره مستفسراً وقال:

- هل هناك وليمة أيضاً في هذا اليوم؟

- نعم! هناك «حسين باي» من حي «يونس آباد»، ولزوجته ابن اسمه «نارطاي»...

- أي «نارطاي»؟ - قاطعه البروقسور.

- كيف لا تعرف؟ هو خادم في حمام «قاره طاش»، أنجبت زوجته توأمين ثلاث مرات... ونكح زوجته من جديد حسب الشريعة!

وقال البروفسور «نعم، نعم» ولو أنه لا يعرف أي

شيء.

- أيوا، بارك الله فيك، فرح «خالق تجنك»، وقال: - وهذا الـ «نارطاي»، ولو كان في عينه عيب، فإنه

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

رجل يعرف «عين» الأمور جيداً... وهو يقيم حفلة واحدة بثلاث مناسبات، فقد عرفت أن هناك مناسبة العيد الفضي لزواج والديه، وزواج أخت أرملة لزوجته، وكذلك حفلة ختان ابنه المتوسط. هيا، استعد بسرعة، هيا! يا...، أنت نائم حتى الآن؟!

لم يأكل البروفسور رزاً في الوليمة هذا اليوم، بل الرز أكله! وكانت في نفس اليوم مناقشة لرسالة دكتوراه، وكان البروفسور محكماً رئيسياً فيها، ولذا قرأ الرسالة من جديد طوال اليوم، وعندما عاد إلى بيته تصفح بعض الكتب إلى وقت متأخر في الليل، ونام في حوالي الساعة الثانية ليلاً.

ولا يعرف كم من الوقت نام، فقد طُرق الباب بشدة، وفتح عابد رسوليفيتش الباب، وهو لا يستعجل في هذه المرة.

- وماذا أيضاً، يا «ملاً خالق»؟ - سأله بصوت بارد.
- يا أستاذ، يا لك من إنسان نائم؟! فهل أنجبتك والدتك مع المخدة؟ استعد بسرعة. فإن «الجزار قوجقار» يقيم وليمة الـ «عشرينية» لزوجته المرحومة، الله يرحمها،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ولقد كانت امرأة جميلة، ونشبت عظمة في حلقها وماتت، وربما كان هذا هو تصديق ما يقال من أن البلاء يقع بين الحاجب والجفن...

- اسمع، أنا لا أعرف من هو "الجزار قوجقار"! - قال البروفسور غاضباً.

- إذا كنت أنت لا تعرفه، فنحن نعرفه، ونشارك معه في الولايم منذ عشرين سنة، وقد انتقل إلى حي «الشرق الشمالي»، ورغم ذلك جاء إلينا ودعانا للوليمة. وعليك أن تشارك مع أهل الحي، استعد بسرعة، ثم هناك في رز الجزار لحم الخيل أيضاً.

في هذا اليوم وقع البروفسور في حالة حرجة جداً أمام زملائه الذين يعملون تحت رئاسته، فقد عقد البروفسور اجتماعاً، وفي الساعة الثانية - أي في وقت الغداء - أكل قليلاً من الطعام، ووضع رأسه على الطاولة، ولا يعرف كيف أخذه النوم، واستيقظ على أصوات هادئة لسعال زملائه موجه إليه.

ونظر إلى ساعته، لقد نام أربعين دقيقة.

عاد إلى بيته وقال لزوجته مصراً:

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

- غداً أنا غير موجود، لقد ذهبت في مأمورية.
وأراد أن ينام وأن يستغرق في النوم، ولكن لم
يحصل ذلك، فقد استيقظ على ضجة صوت «خالق
تجنك».

- هذا عيب، يا أيتها الكنة! هذا عيب! وعليه أن يشارك
مع أهل الحي. رأيتَه بنفسه، لقد كان يجلس ويعمل
في غرفته في الليل، ادعيه!
ولم يستطع عابد رسولي فيتش الذي حُرِم من نومه
تحمل الوضع فخرج.

- أيوا، ها هو! فرح «خالق تجنك»، - أنا أرى الشارع
من داخل الدار، إن لم يكن هناك جدار، يا أيتها
الكنة.

ودخلت زوجته إلى البيت، وهي غضبي وكأنها
تقول: «لماذا جعلتني أكذب؟».

- أما «الحلاق رسول» فهو إنسان حسن التعامل، قال
«خالق تجنك» وهو يهز رأسه - جاء إلينا خصيصاً
ليدعونا إلى وليمة العرس، رغم أنه انتقل من هنا إلى

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

محافظة «جَزَّاحُ»^(*)، وليس لهذا الرجل المسكين ابن، وله تسع بنات، والآن تتزوج بنته الصغيرة التي تدرس في معهد التجارة، ويقيم وليمة بمناسبة زواج بنته الصغيرة هذه، وهو يقول: «إني حضرتُ حفلات، وأكلت ولائم لأهل البلاد، وعليّ أن أعزم الناس وأن أقدم الوليمة»، هيا، استعد بسرعة!

- ألف شكر، قال البروفسور ووضع يده على صدره بحركة قاطعة، - كفاني، وأرجو ألاّ تزعجني قبل أن تنهض القُبْرَةَ.

وأغلق الباب بالقوة.

- يا أخي، إن كنت بروفسوراً هذا لنفسك! - صاح «خالق تجنك»، - فاعلم: ونحن ممن يحمل التابوت، لا تنسَ أن أهل الحي هم الذين سيحملون تابوتك إن مت!

ودخل البروفسور إلى البيت بخطوات سريعة، وتأوه.

وفي هذا اليوم رجع «خالق تجنك» من «جَزَّاحُ»

^(*) محافظة تقع على بعد ٢٠٠ كم من طشقند. (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

قبيل الظهر وكان لديه يوم إجازة، ولذا ذهب إلى «الشاي خانة» مباشرة.

- بروفيسوركم هذا «طلع» ليس إنساناً، - يقول ويلوح بيده بشدة، - ... أردته أن يكون إنساناً، أن يشارك مع أهل الحي، أما هو فأغلق الباب في وجهي، سألف «الناصر» (*) بأوراق كتابك الذي كتبتة، كنت أشعر أنه لا يعرف حسن التصرف! أقم حفلة، وقدم وليمة للناس وأهل الحي، أين أنت؟ أليست لك إمكانية؟ مضى أربعون يوماً إلاّ يومين على انتقاله إلى حيننا، ولم يعمل وليمة! وربما لا يكون له أولاد، وزوجته أصغر منه بخمس عشرة سنة على الأقل...

أخذ «خالق تجنك» يثرثر دون انقطاع، أما البروفيسور في هذا الوقت فقد كان يفحص نتائج الاختراع الجديد في المختبر... ويفكر في الفائدة التي سوف تعود على الشعب إذا ما أنجز هذا العمل.

1979م.

* * *

(*) «الناصر»: نوع من التبغ الشعبي مثل «القات».

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الصف

خورشيد دوست محمد (*)

Khurshid Dost Muhammad

استيقظ العجوز رثيم قبل الصبح، ولبس ملابسه
على مهل وخرج إلى الشارع. وفي مثل هذه الأيام إذا نام
غافلاً، أو يستيقظ ولكنه تأخر في الخروج من الباب
ينادونه خلافاً لهدوء الصبح:

*) ولد عام 1951م في طشقند، نشر له عدد من القصص القصيرة والطويلة،
منها «المنظرة»، و«المأوى» و«الاستجواب»، و«القتل الأوزبكي
الصافي»... وكذلك نشرت مجموعته القصصية «بيت في آخر الفناء».
يعمل في الوقت الحار رئيس هيئة التحرير في صحيفة «الحرية».

- للولي...م...ة!..

ويسمع هذا في أذنه كأنهم يقولون «صف...!»
وفي الآونة الأخيرة أصبح العجوز رثيم يمشي مثل
الطفل الذي بدأ يتعلم المشي، وكان يحس أن الدنيا
تنتهي مثل ما بدأها بالمشي الحذر، وكان يستمع إلى
صوت قدمه كأنها تعبر عن شعورها بشيء ما، وهو
يقضي كل يوم أو في كل يومين مسافة من باب بيته إلى
العمودين للإنارة حيث يجتمع عندهما الجيران. وأحياناً
يشبه هذه المسافة لقياس العمر ومكانه في الصف للختم
الموضوع على هذا القياس.

عندما يجتمع الجيران ينظر العجوز رثيم إلى أطرافه
واحداً واحداً، ثم يبدأ يترأس المسير، ويمشي الصف ممتداً
بخط معوج مثل تجعيدة على جبين العجوز.

يقوده العجوز، ويمسك يديه خلف ظهره لكي تكونا
قوة في خصره. قبل أوقات قليلة كان الأب غلام يمشي
أمامه، وكان ضخماً وذا صدر عريض، ولا يترك دخان
«بيلومور» من فمه، ونادراً ما يشارك في الحديث وهو

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

يمسك سيجارته بأسنانه، وكان يمشي ساكتاً كأنه زعلان
ممن حوله.

ولم يرقد الأب غلام في سرير مريضاً في عمره مرة
واحدة، ذهبوا يوماً قبله إلى حفلة عرس في الشارع
المجاور، ولم يشك من شيء ما. وبالعكس، شكا العجوز
رئيم وقال: - «يا غلام، أنا لا أستطيع الذهاب إلى
مسافة بعيدة، وإن لم أخرج من البيت، فترأس الجيران،
واذهبوا بأنفسكم». ابتسم الأب غلام قليلاً، ثم قال: -
«من عشر سنين لا تستطيع الذهاب، أليس كذلك؟»
وأجابه العجوز رئيم بصوت حزين: «لقد احترت في
أمري، وإن كان هناك نصيب لك فلن ينقطع...» انحدر
الطريق عند منعطف الشارع المجاور، وقال العجوز رئيم:
«لا أستطيع المشي في مكان مثل هذا، أكاد أقع».
وأمسكه الأب غلام من يده وقال مازحاً: «اطمئن، أنا
وراءك، وسأمسكك من معطفك بنفسى».

تذكر العجوز رئيم هذا الحديث، وانقبض قلبه، شعر
بنفسه كأنه يمشي في الظلام وحيداً، أما الأب غلام الذي
يمسكه من معطفه فليس حاضراً، وفي اليوم التالي بعد

ما تحدث معه بمزح... انقطع نصيبه من الدنيا. وباغت الفراق غير المتوقع العجوز رثيم، رحل الأب غلام وخالف ترتيباً عادلاً في الصف...

ويشارك العجوز رثيم منذ حوالي خمسين سنة في الولائم مع أهل البلاد. ويذكر يوم أجلسه أبوه، رحمه الله، أمامه، وقال: - «يا بني، شارك مع أهل الحي، وأنا أكون سليماً يوماً، ومريضاً يومين، وأنت رجل، وستخرج من بيتنا تلبية للدعوة»، يذكر كلام أبيه جيداً، حينئذ فرح من كل قلبه. أما اليوم فإذا مازحه أحد وقال: «أنت ما زلت شاباً» فإنه يقول «لا..»، ولكنه يفرح من قلبه.

في أول مرة شارك في الوليمة سلم على جميع الجيران، كبارهم وصغارهم، ثم انضم إليهم، أي مشي في آخر الصف مكتوف الأيدي، واستمر هكذا خلال سنة تقريباً. وعندما بدأ يشارك ابن الجار الذي يسكن بعد ثلاثة بيوت، تقدم رثيم إلى المكان الثاني من الأخير، وشعر نفسه آنذاك كأنه كبر. ومرّت السنوات، ومعها ازداد عدد الذين يمشون وراءه، وإن لم يكن مكانه في وسط الصف ولكنه كان قريباً منه. وهو وإن كان الغرور يخالف طبيعته، إلا أنه كان يفرح من صميم قلبه بازدياد

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

عدد الشباب المشاركين في الولائم، وازدياد عدد الذين يتنازلون له عن الطريق، ربما كان يفكر في «أن الاحترام للإنسان يبدو ضرورياً».

يوم بدأ رثيم يشارك في ولاءم حفلات العرس والتعازي توفي الجد عارف، وصارت قيادة الصف للجد مَحْكَم، الذي عاش حياة طويلة، وبلغ عمره تقريباً مائة سنة، أما الصف فطال ولم يقصر، وفجأة سلّم الجد محكم، ثم الخال حسين أمانتهما لله، وقال الكبار آنذاك «إن الجد مَحْكَم سحب وراءه الخال حسين». ثم، آه، قبل والده كان الجد رزّاق - الذي كان يمشي ويطلق برجله الخشبية - قد ترأس الصف، وبعده البستاني ميرجليل، وكان ابنه الصغير يطعمه في الولائم، لأنه فقد يديه كليهما في الحرب... وبعد العجوز وهاب كانت «رئاسة» الصف لأبيه... أما الآن... فينظر العجوز رثيم في الجيران الذين يمشون وراءه وهم يتحدثون، واحداً واحداً... الطويل، ومتوسط القامة، والقصير، وذو الفخامة، وكثير الكلام، وسيء الوجه... لا يشبه أحد الآخر... لا فرق لذلك في الصف، ويتبع الكل العادات العادلة في الحياة بغض النظر عن نسبه وقدرته على

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

الاكتساب، ويأخذ كل منهم مكانه في الصف حسب سنّه. ويتقدم هذا «المكان» إلى الأمام باستمرار، من الخلف إلى الوسط، ومن الوسط إلى الأمام، ثم... يُترك الصف. وليس هناك طريق إلى الخلف، وليس هناك أحد يستطيع أن يؤخر وأن يعيد هذا «التقدم»، ولا تستطيع أية قوة أن تفعل ذلك.

ويشبهه العجوز رثيم آخر الصف ببداية الحياة، وبداية الصف بنهاية العمر، أما الصف فيقارنه بالحياة نفسها.

وجاءت فكرة غريبة في بال رثيم حين تقدم «مكانه» إلى وسط الصف. نظر إلى الجيران... يبدو أن بعضهم يتجامل ببعضاً ولكن توجد عداوة خفية بينهم، وهناك بعض الناس يحاولون أن يأخذوا مكانا في الصف قبل شخصين أو ثلاثة، أو على الأقل قبل شخص أكبر منهم سناً، وأمثالهم أحياناً يتجاهلون، وأحياناً يتعمدون أن يمشوا قبل ناس أكبر منهم سناً. وبيت العرس وبيت العزاء مكان مزدحم، وهناك ناس يعرفون بعضهم أو لا يعرفون، وهناك أصدقاء وأعداء. والحضور في آخر الصف في نظرهم يعتبر بالنسبة لأمثالهم عيباً وتحقيراً.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وكان بعضهم لا يتبع العادات غير المكتوبة لإقامة الصف، ويأخذ مكانا له قبل رئيم، ولكنه لم يقل شيئا، ولم يبد تأفقه. ورغم ذلك لم يترك حسن التعامل ولم يُحرم من الاحترام. هيهات، راح عهد كان فيه «الأخ رئيم»، أما الآن فقد أصبح «العجوز رئيم». وفي هذه اللحظة جاءت في بال العجوز رئيم فكرة: «يا ليته كان في آخر الصف ولو موسماً واحداً!..» وقال لنفسه: «وماذا تريد أيضاً، يا رئيم؟ أنت رجل مسن محترم في هذا الشارع، وهل يتركك جيرانك في الخلف وهم يحترمونك؟...».

اختلطت خواطر العجوز رئيم، وتذكر كلام الأب غلام حين كان يشكو له من شيء بسيط أو مرض خفيف، فيقول: «أي رجل أنت، يا رئيم، ما دمت موجوداً في الدنيا فتمتع بحياتك! وعندما ينتهي عمرنا ويأتي الأجل فيقول هيء نفسك، فسرحل أمامه. هل هذا أمر يوجع رأسنا؟...».

تضايق العجوز رئيم من مزح الأب غلام قليلاً، ولكنه لم يبد زعله، وقال له: «اسمع، في شارعنا عادة أزلية: من جاء إلى الدنيا أولاً غادرها أولاً، ومن جاء

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

أخيراً غادرها أخيراً. والآن أنا أكبركم جميعاً، وإذا جاء من يأخذك قدمني له وقل: هناك شخص أكبر سنّاً بيننا...».

لا، لم يفعل الأب غلام ذلك... ها هنا يأتي الجيران، والأقرباء، والأصدقاء القريبون والبعيدون إلى بيت الأب غلام للتعزية.

- أريد أن أكون في الخدمة قليلاً، - قال العجوز رئيس الجيرانه وجلس على أحد الكراسي بجانب الباب. ويأتي ناس صفّاً صفّاً ويدخلون بيت الأب غلام ويخرجون منه. «عند دخول دار العرس، وبيت العزا، والمطعم أو المؤسسة - التي يجتمع فيها عشرة أو اثنا عشر شخصاً - يمشي كبارهم أولاً ثم صغارهم. هكذا عادات الإنسانية. ولكن...» يسند العجوز رئيسه دقنه على عصاته ويراقب بداية الصف ووسطه ونهايته، ويتأمل في الناس المختلفين، ويشعر أن بعضهم يحاول أن يكون قبل أكبرهم سنّاً... ويتسم.

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

المسألة الحساسة

فرهاد موسى جانوف (*)
Farhod Musajonov

منذ عدة سنوات حضر أحد الممثلين الكوميديين

المشهورين إلى مكتب مدير المسرح، وبعد تبادل التحية

*) فرهاد موسى جانوف - أديب - ناثر، وكاتب مسرحيات وسيناريوهات سينمائية، ولد في عام 1932م في طشقند، نشر له حوالي ثلاثين مجموعة قصصية، مثل «راكضاً وراء الشمس»، و«شد حيلك، يا علي قولوف»، و«قطرة الماء من الينبوع»، وله قصص طويلة منها «في يوم الاثنين بعد الفطور»، و«أشتاق إلى شارع حديقتي»، و«السيف والحسام»، وغيرها، ومسرحيات «الحمام الأبيض»، و«بحثاً عن النجاة»، و«أنا تحت أمرك» وغيرها. ويعمل حالياً في مؤسسة «أوزبك - فيلم» السينمائية.

والسؤال عن الأحوال طرح الموضوع الذي جاء من أجله،
وبدأ يقول:

- لقد جئت باقتراح، والاقتراح هو تنظيم مجموعة صغيرة
لدى المسرح الذي تشرف عليه، وفي هذه المجموعة
نقوم بإخراج أعمال هجوية ساخرة، ومنتقد قليلاً بعض
النواقص لبعض الأشخاص، تحدث أحياناً في حياتنا
حتى الآن، ونضحك عليها.

ونظر المدير إلى الممثل طويلاً، وكأنه يقول: « يا
غبي، هل أتيت إليّ بهذا الاقتراح، وهل هذا اقتراح؟ »
أما الممثل فيجلس ويصبر ويتحمل هذه النظرة، وأخيراً،
تحدث المدير وقال:

- طيب، اقتراحك ليس اقتراحاً سيئاً، ولكن إذا فكرنا
في هذا الموضوع بعمق، فإن للمسألة جهة أخرى
حساسة. ومن الصحيح أن حياتنا ليست خالية من
بعض النواقص لبعض الأشخاص، وهي تحدث أحياناً.
ولكن هل من المعقول أن نفتش عن النواقص الصغيرة،
ونزعج الناس؟! إن مهمتنا هي تشجيع الناس على
الأعمال العظيمة. وطبعاً، إن الضحكة - وخاصة

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الضحكة الخفيفة غير المؤذية - شيء ضروري، ولكن هل من الضروري كشف النواقص والنقد لأجل توليد الضحكة... عفواً، لإيجاد الضحكة؟ ألا يوجد هناك سبب آخر إن أردت أن تضحك؟ وهل من الضروري أن تضحك على النواقص؟

- وعلى ماذا نضحك إذن؟ - سأل الممثل مبتسماً.

- اضحك على أي شيء، والمهم، لا تضحك على النواقص، - قال المدير وحوّل الحوار إلى المشاورة، - نفترض، مثلاً، أنك تخرج على خشبة المسرح وتضحك بنفسك ضحكة قوية، وتضحك دون أن تنقطع، وسيضحك الآخرون، لأن الضحكة شيء معد.

- ألا تكون هي ضحكة بلا معنى؟!

- لا تفكر في معنى، إننا لا نريد معنى، بل نريد ضحكة.

- هكذا، إذن؟ ويمكننا أن نفعل مثل ما قلت، ولكن إذا فكرنا في هذا الموضوع بعمق، فإن للمسألة جهة أخرى حساسة.

- نعم؟ - رجف المدير.
- لا، ليست على درجة الارتجاف، ولكن للمسألة جهة حساسة. طيب، نفترض، أنني أخرج على خشبة المسرح، وأضحك بنفسني دون أي سبب، كما قلت، ومن الممكن، أنه سيضحك البعض، لأن الضحكة شيء معد، كما قلت. ولكن، ماذا إذا فكر كثير من المشاهدين، «إنه جنّ»؟ وهم يفكرون عن «من الذي سمح له بالخروج إلى خشبة المسرح»؟ وربما يقولون، إن «مدراء المسرح ليسوا ناساً ذوي مسؤولية». وأقول إنه في هذه الحالة سيعود الحديث إلى النقد.
- إن أخذنا هذا الجانب من الموضوع، وفي الحقيقة، أنه أيضاً سيعود إلى النقد. وماذا، لو فعلنا هكذا؟ نتصور أنك تخرج إلى خشبة المسرح بكل وقار، وفي ذلك الوقت تعثر بشيء ما وتقع على الأرض، وسيضحك الجميع عليك. ذات مرة رأيت بنفسني بهلواناً في السرك، فعل هكذا وضحكت كثيراً.
- طيب، ويمكننا أن نعمل مثل ما قلت، ولكن إذا فكرنا في هذا الموضوع بعمق، فهناك للمسألة جهة حساسة أخرى.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

- نعم؟ - رجف المدير من جديد.
- لا، ليست على درجة الارتجاف، ولكن للمسألة جهة حساسة. طيب، نفترض، أنني وقعت في الأرض على خشبة المسرح، وضحك عليّ غبيّ أو غبيّان. ولكن هناك سيكون رأي آخر عند بعض المشاهدين، وهم يفكرون «لماذا وقع على الأرض، ربما كان هناك مسمار في خشبة المسرح، وليس عندهم صيانة كافية في الوقت المطلوب، إذن، مدراء المسرح ليسوا بناس ذوي مسؤولية»، وأقول إنه في هذه الحالة سيعود الحديث إلى النقد.
- وإن أخذنا هذا الجانب من الموضوع، وهو أيضاً قد يعود إلى النقد، - قال المدير، - إذن، نفعل هكذا؟ نتصور، أنك تخرج على خشبة المسرح، تنظر إلى المشاهدين، وتكرّش وجهك دون سبب.
- هل رأيتَه في السرك أيضاً؟
- نعم، رأيتَه في السرك.
- وهل ضحكت كثيراً؟
- نعم، ضحكت كثيراً.

- طيب، ويمكننا أن نعمل مثل ما قلتَ، ولكن إذا فكرنا في هذا الموضوع بعمق، فهناك للمسألة جهة حساسة أخرى.

- نعم؟ - رجف المدير مرة أخرى.

- لا، ليست على درجة الارتجاف، ولكن للمسألة جهة حساسة. طيب، نفترض، أنني أكرّس وجهي دون أي سبب، والصحيح، قد يضحك البعض، وأما الآخرون فيفكرون «لماذا يكرّس هذا الممثل وجهه؟ وهو يخاف أن يضحك على بعض النواقص لبعض الناس مما يحدث أحياناً في حياتنا حتى الآن، ولذلك هو يكرّس وجهه»، ألا يفكرون هكذا؟ وأقول، إذن، إنه في هذه الحالة سيعود الحديث إلى النقد أيضاً.

- إن أخذنا هذا الجانب من الموضوع، وفي الحقيقة، إنه أيضاً سيعود إلى النقد، - قال المدير، - طيب، كيف يمكن توليد... معذرة،.. إيجاد الضحكة؟ إنها مسألة حساسة جداً!

فجأة مال المدير إلى الأمام، وهمس في أذن الممثل

وقال:

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

- اسمع، لا تفكر أن هذا الشخص يكره النقد جداً،
وإنني لا أفكر في نفسي، وأنت تعرف، ويحضر
المسرح ناس مختلفون، وليس جميعهم يحبون النقد.
ومال الممثل أيضاً إلى الأمام، وهمس في أذن
المدير، وقال:

- إن للذين لا يحبون النقد عيباً ما، ولذلك السبب،
يكرهون النقد خوفاً من كشف عيوبهم.

- نعم، أحسنت، - فرح المدير، - إذن، فهل من
الضروري، أن نفتش عن نواقص بسيطة في حياتنا
الزاهية والمزدهرة؟

- طيب، وماذا نفعل ببعض الأشخاص الذين لديهم بعض
نواقص تحدث أحياناً في حياتنا؟ - سأل الممثل.

- ولا يهملك، يا صديقي، نقوم بالنقد القوي لهؤلاء
الأشخاص ذوي بعض نواقص التي تحدث في حياتنا
أحياناً، عندما تكشف نواقصهم، نعم، عندئذ، سنقوم
بالنقد القوي، دون خوف ورحمة.

ونظر الممثل الكوميدي في وجه المدير، وابتسم،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وخرج من المكتب، وشك المدير في قلبه، وأسرع، وخرج وراء الممثل.

- قف، ولماذا تبتسم؟ - سأل المدير.

أما الممثل فابتسم بابتسامة واسعة في هذه المرة أيضاً.

وقلق المدير وسأله:

- لماذا تبتسم، ويشبه وجهك وجه الرأس المخروق؟

وضحك الممثل الكوميديّ بضحكة قوية.

- ولماذا تضحك عليّ؟ - سأله المدير وهو يرتعش.

- يضحك الإنسان متى أراد أن يضحك، وهل يمكن خنق الضحكة؟ - أجاب الممثل الكوميدي.

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

رمضان

أيدين حاجييفا (*)
Oydin Hojiyeva

يجيب رمضان - ابن أختي - من يسأل عن اسمه
إنه «زمنان ملاً» (*).

عندما يحل المساء تبدأ أُمي في التفكير بقلق:
«ماذا سوف يعمل رمضان هذا المساء؟» رمضان في

(* مرت ترجمتها ص 85.
*) زمنان: في اللغة الأوزبكية تنطق الكلمات المقتبسة من العربية التي
تحتوي حرف «الضاد» بحرف «الزاي» وذلك نتيجة عدم وجود صوت
«الضاد» في الأوزبكية ويلفظها الطفل بالزاي بدل الراء. (المترجم).

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الثالثة من عمره، يبكي كثيراً، وينام نهاراً، ويشبع من النوم، وفي الليل يبكي ولا ينام، وتتعب أمي المسكينة وهي تحمل دائماً هذا الولد الكبير.

أحياناً، يقول: «أذهبي معي إلى بيت أسطى بابا، ليعطيني اللوز!» وتحمله أمي المسكينة إليه.

وفي اليوم التالي يقول إنه يريد الذهاب إلى «إسلام بيه»، و«أريد أن أكل الشمام المجفف» و«أريد أن أكل الحلوى».

وعادة ما يكثر ملاً رمضان سياحاته في ليالي الصيف.

ذات يوم وجدت أختي شريفة طريقة لتخوفه، ودخلت في الليل إلى غرفة الفرن وخرجت من هناك لابسة «الرداء الأبيض»، وخاف ملاً رمضان وارتعش وسكت.

أملت الزيارات المسائية خلال الأسبوع أمي المسكينة، وسمع ملاً رمضان همسات أمه وجدته، ومع حلول المساء أخذ عصا كبيرة ووقف أمام الفرن، وأما أختي شريفة فلم تستطع أن تقترب من الفرن وبيدها

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

«الرداء الأبيض»، وملاً رمضان «مسلح»، وأمي تنادي:
«يا أيها الرداء الأبيض، تعال هنا»، أما «الرداء
الأبيض» فلا يستطيع أن يقترب من الفرن، ولا يلبس
«رداءها»، ولا يخرج من الفرن.

والحارس لا يترك موقفه، ولا يخرج «الرداء
الأبيض»، وتقول أمي: ربما ذهب «الرداء الأبيض» لزيارة
خالته.

وانتصر «الملاً الباكي» على «الرداء الأبيض»،
وفي منتصف الليل أصر على الذهاب إلى بيت خاله
نظام، وحملت أمي هذا الولد الكبير وذهبت معه إلى
الخال، وملاً الخال نظام قبعة «الملاً» بالزبيب.

وفي مساء اليوم التالي بدأت السياحة إلى بيت
«كيوانى بيبي»، وفي بيت كيوانى بيبي كان يوجد دائماً
فطائر، وأعطته «بيبي» منها، وملاّت منديل «الملاً»
بالسكر.

وفي الطريق عند مدخل مستودع القطن أسقط
«الملاً» منديله، وبعثر السكر على التراب، وبكى وطلب
منها أن تجمع السكر من التراب.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وتمت أمي بكلمات غير مفهومة وهي لا تعرف
ماذا تفعل.

وحينئذ ظهر شيء كبير أبيض، وبدأ يقترب منهما،
خاف «الملا رمضان» ولكنه لعق تراباً مرة أو مرتين، ثم
بدأ يهرب إلى جدته، وهو يقول:

- يا جدتي، عاد «الرداء الأبيض» من بيت خالته.

بعد هذا انتهت سياحات «الملا رمضان» ومغامرته
الليلية.

وتقول أمي إنه كان جنّاً، والله أعلم!

وكانت لـ «الملا رمضان» أفعال كثيرة. في صندوق
الملابس الجديدة كانت أمي تحفظ حلوى وشوكولاتة
مربوطة في المنديل، إنها زينة السفارة إذا جاء الضيوف.

ذات يوم فتحت أمي الصندوق ورأت المنديل
فارغاً، ولم تجد الحلوى والشوكولاتة!

واستغربت أمي، وفكرت: «من فتح غطاء
الصندوق الثقيل؟» ثم ابتسمت، لأنها وجدت أن هناك
رزة غير موجودة. وقد أكل «الملا زمزان» كل الحلوى
والشوكولاتة.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

ولم تقل أُمي شيئاً، ووضعت على المائدة في غرفة
الضيوف زيبياً ومشمشاً مجففاً وفواكه أخرى.

وفجأة سمعت أصوات البكاء، وكان «رمضان»
يبكي وقد استلقى في الممر تحت السقيفة الكبيرة، كان
يبكي ويقول:

- حلواي، حلواي... -

كان الولد قد أخذ قطعة كبيرة من مكعبات السكر
وخبأها في سرواله، وعندما دخل دورة المياه سقطت! وهذا
سبب البكاء مما جعل الجميع يضحكون!

وجاء «الجد الملاً رجب» بحلوى كثيرة، وأعطاه...
وكبر «رمضان» وأصبح شاباً يستطيع أن يكسب
مكاسب جيدة.

وكان زوج أختي يقول له دائماً:

- يا محب الحلوى! سأزوجك بنت بقاء حلوجي!.. -

ولم يتزوج «رمضان» بنت بقاء حلوجي، بل تزوج
بنت الراعي «عرب»، واسمها «حرسندآي»، عيونها

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

جميلة، وشعرها الكثيف يغطي كتفها.

ومن يرَ داره يغبطه له. ومائدته مليئة دائماً
بالشكولاتة والحلوى. وإذا ذهب لزيارة أصدقائه فإنه
يأخذ معه دائماً كثيراً من الحلوى. والأولاد يحيطون به
ويقولون:

- يا «عم زمزان» اعطنا حلوى!

وفي جيب «العم رمضان» دائماً توجد الحلوى!

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

الجد والحفيد

طائي مراد (*)

Toghay Murad

ينهض الحفيد ذو الأعوام الثلاثة قبل الجميع من فراشه... يخرج إلى السقيفة وهو يلبس حذاء أحمر وسروالاً وقميصاً أخضر... إن الذين يجلسون حول المائدة لا ينتبهون إليه، ويظل واقفاً في الدهليز قليلاً.

*) ولد في محافظة سرخان دريا عام 1948م، نشر له عدد من القصص الطويلة، مثل «الناس في ضوء القمر»، «أغنية الأرض الأم» وغيرها، ورواية «الحقول الموروثة عن أبي»، قام بترجمة مسرحية «بنت الرجل الغني» لجيك لندن وقصص أخرى له، وكتاب «الحصان البري» لـ (سيتون طومبسون). ويعمل رئيساً للقسم في مجلة «فن وتورموش» («العلم والحياة».

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

من ينظر إلى هذا الولد من الأمام ويرى أذنيه الكبيرتين - وكأنهما موضوعتان مؤقتاً - يشبهه لخاله، والذي يرى عيونه السوداء، وأنفه السمين، وجبينه الواسع الأحدب الزاهي الذي لم يعرف غماً، يشبهه لأبيه.

ينزل الحفيد على السلم بهدوء، وينظر وراءه، ثم يذهب بخطوات صغيرة إلى دراجة نارية تقف بالقرب من باب الفناء، ويقف بجانبها. ويذكر أنه ركب مع أبيه على هذا المقعد الجميل، إن هذه الدراجة النارية أخرجت صوتاً عالياً وتحركت بسرعة، وحضن أباه من الخوف وأغلق عينيه. ها هو اليوم أيضاً يريد أن يركب هذه الدراجة النارية، ويمسك بيده المقعد الخلفي، ويشير بهذا إلى أنه يريد أن يركب. وبعد قليل يأتي أبوه ويسأله:

- إلى أين تذهب؟

- أنا أريد الذهاب أيضاً.

- إلى أين؟

- إلى العمل.

- أيوا، أمس سأل مديرنا عنك في اجتماع المعلمين، وقال لماذا لا يأتي إلى العمل؟ - قال أبوه وهو يمزح.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

لم يفهم الحفيد ما قاله له أبوه، حتى إنه يسمع بعض الكلمات أول مرة، ولكنه فهم أن هناك شخصاً ما - ربما خالته أو عمته قالت: "ليأتي" ، سيذهب، إن شاء الله، سيذهب.

وحيث يدعس أبوه على شيء ما، وتخرج الدراجة النارية صوتاً، ويرتجف الحفيد ويرمش بأهدابه.

ويكرش وجهه، كأنه يقول: «إذا لم تأخذني معك سأبكي»، ولا ينتبه أبوه ويغادر، وتخرج الدراجة النارية دخاناً يبقى فيه الحفيد، وها هو يريد أن يرقد على الأرض ويبكي، أما جده... فهو شديد، ولا يسمح له أن يرقد على التراب، وأن يبكي حتى يرتاح، ويمسك بيده ويدخل به إلى الداخل. ومن بين الناس الذين يعرفهم كان يحب جده ولو أنه كان شديداً. ومنذ الآن سيحب جده أكثر من ذي قبل، لأنه الآن أخذ شوكولاتة من الدولاب وأعطاه إياها.

ويريد الحفيد شيئاً ما، وذات يوم ذهب جده معه إلى مكان ما، هناك بيوت عالية وناس كثيرون، وهم جالسون في الشوارع ويعرضون التفاح والخيار للجميع،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

واشترى جده آنذاك ماءً لذيذاً، ويذكره الحفيد حتى الآن ويلعق شفثيه. والآن يريد أن يقول له لنذهب، ولكنه لا يستطيع، لأنه لا يعرف أين كان، ويجلس على ركبة جده ويزعجه. ويقول له جده:

- اهدأ، اهدأ، انظر هناك، انظر هناك، يا... انظر الأولاد، - ويشير إلى التلفزيون، الذي يقع في الركن.

لقد عرف الحفيد منذ قليل، أن هذا الصندوق الكبير المصنوع نصفه من الزجاج يسمى التلفزيون، ولكنه حتى الآن لا يستطيع أن ينطق اسمه. ويضحك الجد فجأة، وهو يشاهد شيئاً ممتعاً في التلفزيون، ويشاركه الحفيد ويضحك معه وهو لا يفهم ما الأمر، ويشاهد العرض ويستغرب، كيف يستوعب هذا الصندوق الصغير كثيراً من الناس؟

- يا جدي، أين هؤلاء الناس؟

- داخل التلفزيون، يا بني.

- هل في داخله بيوت؟

نعم، يا بني، نعم، كل شيء في داخله.

- هل لديهم شوكولاتة أيضاً؟

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

إن الحفيد الصغير يظن أن أفضل الأشياء المهمة والضرورية للناس هي الشوكولاتة، ولذلك فهو يقارن كل شيء في البداية مع الشوكولاتة. ويبقى سؤال الحفيد بلا رد، ويطفئ الجد التلفزيون بعد أن انتهى العرض، ويخرج إلى الفناء. ويجلس الحفيد منحنياً على الجدار بيديه، وينظر قليلاً إلى التلفزيون، وهو يضع أصبعه في فمه، ويحني رأسه إلى اليسار قليلاً، ثم يقترب من التلفزيون وينظر من خلفه إلى الداخل - لا شيء، ويضع أذنه إلى جانب التلفزيون، ويستمع إليه - لا شيء. ولا يرى هؤلاء الناس، قبل قليل هم كانوا داخل التلفزيون... أين ذهبوا؟

ويستغرب وينظر داخل البيت، ويرى سيارته الصغيرة الواقفة بجانب المدفأة، ويقترب منها، ويأخذ لعبة «عروسة» لأخته ويسحبها من رجلها ويركبها على سيارته، ثم يسحبها بحبل طويل مربوط بها ويخرج إلى الفناء، وينظر إلى جده الذي يعمل شيئاً ما في الركن. إنه يصنع إطاراً للنافذة، وأمامه الأدوات اللازمة للنجارة وأخشاب مختلفة الأحجام، وهو يرسم أحياناً على الخشب بقلم رصاص صغير، ثم يضعه على أذنه. ويرى حفيده

هذا ويضحك، ويبحث عن قلم ليفعل نفس الشيء ولكنه لا يجده، ثم يسحب سيارته ويتجه إلى وسط الأشجار. ويراقب الجد حفيده بعينيه، ويستمر في عمله. مرّ شهران تقريباً منذ تقاعد الجد، وكرّمته الحكومة، وكان يفكر قبل أن يتقاعد: «متى أتقاعد، وأرتاح؟» وها هو حلمه قد تحقق، لكنه لا يجد الآن مكاناً يضع فيه نفسه، ولا يعرف ماذا يفعل، والإنسان الذي تعود على العمل لا يستطيع أن يستلقي دائماً. إنه يراقب الفناء ويصلح كل ما يراه ضرورياً للتصليح - الأماكن التالفة في الجدار، والنوافذ والأبواب المعطلة، ويقوم بتقليم أغصان العنب، وباختصار، لا يرتاح إلا إذا أصلح كل شيء يحتاج إلى التصليح في الفناء. «هذا الإسماعيل... وأتوب إلي الله، اشتغلت في الحكومة أربعين سنة، وتعاملت مع آلاف من الناس، ولكنني خلال شهرين لا أستطيع أن أتعايش مع هذا الولد الصغير!...».

اليوم هو اليوم الثاني الذي يصنع فيه الجد باباً لقن الدجاج. يقيس الخشب بكفه، ويلخبط، ويقايسه مرة أخرى، وفي هذه المرة يحدده بالقلم، ويأخذ المنشار لينشره... «وليس مفيداً أنني تقاعدت، فعندما كنت

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

أعمل، كان يسألني كل يوم عشرة أشخاص على الأقل، أما الآن فلا شأن لأي أحد بي». يفكر الجد في أشياء كثيرة أخرى... ويتذكر أن حفيده ذهب إلى وسط الأشجار، فينظر إليه، ويطمئن إلى سلامته، ويستمر في عمله، ويشفق الجد على حفيده: «إنه صعب عليه، وليس هناك أولاد يلعبون معه، وأهل البيت يتركونني ويتركونه، فهل يريدون أن يقولوا: «العبا أنتما الاثنين»... لا...».

ويشعر الحفيد السمين بالملل من اللعب، فيسحب سيارته، وينظر إلى قن الدجاج، ويرى دجاجة قابعة هناك، فيرفع رجله اليسرى ويركل الأرض، ليطرد الدجاجة، ولكنها تبقى في مكانها ولا تتحرك، ويفكر الحفيد في نفسه: «الدجاجات كلها تلعب في الفناء، فلماذا هذه الدجاجة تجلس وحدها؟...».

وأراد أن يقطع يد اللعبة «العروس»، ويرميها على الدجاجة، ولكنه لا يتمكن من ذلك، فيأخذ حجراً صغيراً من الأرض، ويلقيه عليها، وتصيح الدجاجة وتخرج من قنّها وتهرب، ويرى الحفيد بيضة في المكان الذي كانت فيه الدجاجة، ويمدد يده، ولا تصل، فيدخل بيت الدجاج

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

زاحفاً على يديه وركبتيه، ويضع البيضة في سيارته
ويسحبها، ويذهب إلى جده، ويقول له:
- يا جدي، باضت الدجاجة بيضة، ها هي!
- جيد.

- وبيضتها دافئة.

ويذهب الجد والحفيد تحت العنب، وكل يمسك الآخر
بيديه. وينظر الحفيد الصغير إلى العنب المعلق في الكرم،
ويريد أن يقطعه بنفسه ويأكله، ويمد يديه إلى العنب مثل
جده، ولكنه بعيد، بعيد جداً...

ينظر الجد إلى الحفيد، ويتذكر طفولته فجأة...
ويشعر أنه طراً في قلبه شيء... شيء ما لحفيده...
ويظل ناظراً إلى جبين حفيده الواسع ووجهه الصافي...

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الثلج الأبيض

آمان مختار (*)

Omon Mukhtar

السماء غطّتها السحب ، ونزل الثلج، الثلج
الأبيض اللين...

تخيط العجوز فراشا وهي تعتمد على السرير.
الرجل المسن أمام النافذة، يجلس منحنيًا، على وجهه

(* آمان مختار شاعر وناثر وكاتب مسرحيات، ولد عام 1941م في بخارى،
نشر أول مجموعة شعرية له عام 1965م، ونشر بعد ذلك أكثر من عشرين
كتاباً، منها «الطيور والأحلام»، و«العروس من المدينة»، و«الوظيفة»
وغيرها، ويعمل حالياً رئيس تحرير مجلة «شرق يولدوزي».

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

آثار إرهابك الشيخوخة، في أحضان طفلة صغيرة ذات
شعر جعدي. تنظر الطفلة إلى الخارج وهي تضع كفيها
على زجاج النافذة الباردة. يهزها الرجل المسن مرة إلى
الأمم ومرة إلى الخلف، ويصدر صوتاً أجش. وتنظر
العجوز إليهما من حين إلى آخر، ولا تدري هل يضحك
زوجها أم يسعل.

يضحك العجوز، وعندما يضحك يختنق ويسعل.
وتشغل الخواطر البعيدة وهو يحدق في ندف الثلج.

كانت السماء ذات سحب ورطوبة آنذاك، وكان
الثلج الأبيض اللين ينزل مثل الآن...

عاد الرجل المسن الأب نعمان خان من المحطة إلى
البيت، وقعت آثار الفحم على أطراف معطفه وشاربه
وحاجبيه، وهو نشيط رغم كبر سنه. فتح الباب ودخل
الممر شبه المظلم، ومسح الثلج عن كتفه وخلع قبعته
ونفض الثلج عنها.

لا أحد في الحجرة. زوجته في المعمل.

وضع الأب نعمان خان إبريقاً نحاسياً على الفرن

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الحديدي وبدأ يشعل النار. بعد لحظة غلى الشاي. على الطاولة كأس وابريق للشاي وسفرة ملفوفة. صنع العجوز شايًا، وفتح السفرة. في السفرة قطع رغيف، ونصف خبز أسود. جمع قطع الرغيف ووضعها في فمه وشرب قليلاً من الشاي.

كان للعجوز ابنان! توفى أحدهما في صغره. أما الثاني فذهب إلى المعركة عندما طرّ شاربه. ها هي عدة أشهر لا رسالة ولا خبر منه، خلاصة الكلام: دون أي نبأ. تذكر الأب نعمان ابنه وتأوه. سمع البوابة تفتح، وألقى نظرة إلى الفناء عبر النافذة. تمشي ميرم بنت الجار على الثلج بخطوات قصيرة. فُتح الباب وأدخلت ميرم رأسها المغطى بشال صوفي وقالت:

- يا عمي، أنا جئت... عيونها مرهقة، ابيضّ لون وجهها، ولسبب ما ترتعش شفتاها قليلاً.

- تفضلي، يا بنتي، - قال العجوز. تقرأ هذه البنت رسالة تصل من ابنه كل مرة، وهما يتذكّران الشاب البطل. بدأ قلب العجوز يقلق عندما ظهرت البنت التي لم تأت منذ زمن: «بأي خبر جاءت، يا ترى؟»

- رأى وجه البنت وارتجف قلبه قليلاً... ولكن من يعرف
حالة العجوز إلا هو؟!
- هل أنت مريضة، يا بنتي؟ إن وجهك... - سألتها
العجوز وكأن يداً قاسية تقبض على قلبه.
- نعم، تعبت قليلاً، - قالت مِيرَم.
- «إنها تكذب» - فكر العجوز وقال للبنت: -
خذي، خذي خبزاً. أخذت ميرم قطعة خبز وبدأت تعضّها.
- هل أمورك في المحطة جيدة، يا عمّي؟ - سألت البنت
وهي تجبر نفسها على التجاهل.
- نعم، نعم... جيدة، - قال العجوز. «هناك شيء
تخفيه هذه البنت» - جاءت الفكرة على بال العجوز.
- يقول أبي إن عمك مثل الشاب، مازال قوياً. وأنا أفرح
عندما يقول هكذا... أرادت أن تبتسم، لكن ارتعشت
شفتاها، وهزت رأسها وظهرت قطرة دمع في عيناها.
- قولي، ماذا حدث؟ - همس العجوز بهدوء.
- لا شيء، يا عمي، لا شيء. إني...
- قولي! - قال العجوز بصوت يشبه صوت أولاد يطلبون

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

شيئا ما مصرين. حاجباه الكثيفان ينزلان على عينيه،
وتشتعل عيناه مثل النار...

- لا شيء.. استلمت رسالة، - بدأت البنت تتكلم،
وأحست أنه لا يمكن ألاّ ترد على هذه العيون، - ربما
أنه خطأ! لم أصدق...

- إنها الحقيقة! - صاح الأب نعمان خان بألم باطني.
وانحنى رأسه الثقيل الأشيب. بللت مِيرَم قطعة قماش
ووضعتها على جبين العجوز، وساعدته ليستلقي في
الفرّاش. ويرقد العجوز مستلقياً في الفرّاش بجانب
المدفأة وعيونه شبه مغلقة ويهمس بشيء ما.

- طيب، أنا سأذهب، - قالت مِيرَم وهي قلقة، تفكر في
شيء ما، - ربما هذا خطأ، لم أصدق. كتبوا رسالة...
ربما خطأ، - كأنها تتكلم لنفسها.

يسكت العجوز. اتجهت مِيرَم إلى الباب، ووقفت
عند العتبة، التفتت إلى الخلف ونظرت إلى العجوز وبكت
بكاء واضحاً وهي تعتمد على إطار الباب. تحرك الأب
نعمان خان بصعوبة وجلس.

- إنه خطأ! - قال بهدوء. رفعت مِيرَم رأسها حيرى

ونظرت إليه. يتحامل العجوز ويبتسم كأن لم يحصل شيء. ولم تشعر ميرم بالابتسامة المزورة على وجه العجوز. - أعرف، يا بنتي، أنه خطأ... كنت مريضا أيضاً، وحدث مثل هذا. سنرى، سيصل سريعاً، وسننسى هذه الأيام، يا بنتي...

رفعت ميرم رأسها. مسحت دموعها بشالها الصوفي، ومشت بخطوات قصيرة وخرجت من الفناء. وقف الأب نعمان خان، أخذ معطفه ولبس حذاءه واتجه إلى الشارع. ماذا سيفعل الآن؟! فيمن يفكر؟ وينتظر من؟ لا، لا، لا!

الطرق غطاها الثلج الكثيف. عليها آثار مختلفة كبيرة وصغيرة، متجهة إلى اليمين وإلى اليسار وإلى الأمام... آثار ناس يجتهدون لكي يتخلصوا من آلام عظيمة تعتصر قلوبهم...

دار العجوز في السوق مرة. أمام مخبز أناس كثيرون. جرحى يمشون بالعصا، ونساء، وأولاد، هنا يسيطر السكون الثقيل أحياناً، وترتفع الضجة أحياناً.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ويشبهه وجه البائع المعروق النحيف بلا لون قطعة خشب،
وهو يعمل دون توقف..

يمشي ولد، معطفه ممزق وعظم وجهه خشن، من هنا
إلى هنا، وينظر في الناس حيناً، وينظر إلى البائع حيناً
آخر. ماذا يريد هذا الولد، يا ترى؟

أحني العجوز رأسه وابتعد عن المخبز. ورأى في
بداية الشارع نساء اجتمعن لبيعن أشياء مختلفة، وتوجه
إلى بيته.

لقي في الطريق ولدا ذا معطف ممزق رآه بجانب
المخبز. جلس الولد تحت التلال، أغلق عينيه واقشعر
جسمه من البرد، اقترب الأب نعمان خان منه وسأله:

- لماذا تجلس هنا، يا بني؟

- زوج أمي... طردني... لا يعطيني خبزاً، ويضرب
أمي. طردني... أنا أشعر بالبرد، يا عمي.

ضغط على قلب الأب نعمان خان حجر أثقل مما كان
فيه. أما العجوز فرمى هذه الأحجار التي كانت ثقيلة.

- تعال، يا بني، لنذهب إلى بيتي.

رفعه الأب نعمان خان، ووضعه على كتفه رغم أن

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

الولد كان كبيراً، وأتى به إلى بيته. وأجلسه على الفراش بجانب المدفأة، وفتح سفرة وقال:

- خذ، يا ابني، خذ!

ومدّ الولد يده الصغيرة الحمراء التي تجمدت من البرد، مدّها إلى الخبز، وبدأ يعضه مسرعاً. خرج الأب نعمان خان إلى الدهليز وعاد بقبعة ابنه. خلع طاقية الولد البالية ورماها في الركن وألبسه القبعة. وينظر الولد الذي غطت القبعة أذنيه بحب وحيرة، وتشتعل علامات السعادة والسرور في عيونه البسيطة والصفية. لم يستطع العجوز أن يسيطر على نفسه أمام وجه الولد السعيد. أخذه في أحضانه، وسقطت الدموع من عيونه...

مرّت السنوات. كبر الولد، وتزوج. وأصبح العجوز ذا حفيد... مرّت السنوات!!! وبعد هذا انتصر الناس على الآلام مرات كثيرة، ووجدوا سعادتهم وفرحتهم. وبعد هذا نزل الثلج الأبيض اللين على صدر الأرض الحار...

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ذو الشعر الأزرق

ناصر فاضلوف (*)

Nasser Fazilov

حل الربيع، وبدأ الثلج يذوب، كل سنة في مثل هذا الوقت ينتقل رعاة مزرعتنا إلى مراعى (ياسّي) على شاطئ نهر سيرداريا وقيمون خيمهم هناك. والمسافة بين

(*) وُلد عام 1929م في منطقة تركستان بجمهورية كازاخستان، نشر أول قصة له عام 1953م، ثم نشر قصصاً وكتباً عديدة، منها «آق ساي» (النهر الأبيض)، و«سرطان»، و«قصص الربيع» وغيرها. قام بترجمة قصص من الأدب الكازاخي إلى اللغة الأوزبكية، يعمل حالياً في مجلة «شرق بولدوزي».

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

المراعى وقريتنا ليست بعيدة، تبلغ حوالي عشرة كيلومترات. أذهب إلى هناك مع عمي (باتشاخان) كل يومين، إن لم أذهب كل يوم. الربيع! طبعاً في مثل هذا الوقت تفيض مياه نهر سيرداريا على شواطئه وتغطي الأذغال و البرك المجاورة، ويزعق الوز والبط ويحول هذه الأماكن إلى سوق الطيور.

اليوم أيضاً كنت أنا وعمي على الجوادين في الطريق. وقد علق عمي على ظهره بندقية ذات طلقتين بعبارة ستة عشر، وعلى ظهري بندقية ذات طلقة واحدة بعبارة عشرين. كنا نمشي ونتحدث. ولما تجاوزنا نهر بوريجار واقتربنا من مراعى ياسي قابلنا رجلان، أحدهما يركب فرساً، والثاني يركب حماراً، عرفتهما عندما اقتربنا منهما: راكب الفرس هو الأخ قوجقار، طبيب بيطري في مزرعتنا، وراكب الحمار هو الجد عيسى، كبير الرعاة.

- السلام عليكم، - قال عمي باتشاخان وقد أطال تحيته.
- وعليكم... - قصّر الجد عيسى رده للتحية،
مجيتك أمر جيد، يا أخي، هيا بنا لنذهب!

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

قال الجد هذا وتقدم إلى الأمام وهو يحث حماره.
استغرب عمي وسأل:

- ماذا حدث؟

غمز الأخ قوجقار بعينه اليمنى كأنه يقول «لنذهب».
سحبنا زمام جوادنا ورجعنا إلى الخلف وفكرنا: «هناك أمر
ما». نسير أنا وعمي والأخ قوجقار في صف واحد، أما الجد
عيسى فهو في الأمام قليلاً.

- اعتدى الذئب على جواده، - قال الأخ قوجقار هادئاً.

- كيف؟

- سوف نرى الآن.

استغربت جداً، قبل الأمس رأيت جواده بجانب
الخيمة، كان واقفاً ويسعى إلى الأمام.

مشى الجد عيسى مسافة قليلة، ثم جذب مقود حماره
إلى اليمين ودخل بين الأشجار القصيرة، وترجل حتى نصل،
ووقف بجانب جثة جواده الهالك. وترجل الأخ قوجقار وعمي
باتشاخان، وأعطيانني زمامي جواديهما. رأيت الخيول جثة الجواد
المغطاة بدمه فأخذت تصيح من الخوف وتضرب الأرض بأرجلها.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

أكلت الذئاب رجل الجواد الخلفية ونصف بطنه، وعلى رقبة الجواد المسكين وشفتيه أثر أسنان الذئاب، ويبدو أن الجواد صارع الذئاب طويلاً، وتجمدت عيناه مفتوحتين، يا للجواد المسكين!..

رأى الجد عيسى هذا المنظر وهو يرتعش وقال:

- لا، لا يمكن تحمل هذا أكثر من ذلك. لا بد من اتخاذ اللّازم!

- يبدو أنه ليس فعل ذئب واحد.

- آه، إنها أربعة، وأقواها ذو الشعر الأزرق، - قال الجد عيسى غاضباً، - ويسوءني أنني لا أستطيع الإمساك به. أين الصيادون؟! أين الرجال ذوو البنادق؟!

ربما أثر هذا الكلام في عمي باتشاخان قليلاً، فقد أنزل طاقيته على جبينه، وحك قفاه. وسكت الأخ قوجقار، وأخذ كيسه المعلق على سرج جواده، وجلس على الأرض وبدأ يفتح ربطة الكيس، واستخرج منه قارورة زجاجية ووضعها على الأرض، كان فيها مادة سائلة سوداء، وعلى ورقة ملصقة عليها صورة جمجمة

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

وعظمتين. ثم أخذ الأخ قوجقار إبرة، كانت هذه الإبرة أكبر مما كنت أرى دائماً بمرتين أو ثلاث مرات، وملأها من القارورة، وحقن ثلاثة أو أربعة أماكن في جثة الجواد، ثم استوى قائماً وقال:

- سوف نرى غداً، - وهو يمسح يديه بقطن، - سيرجع الذئب إلى هذا المكان مرة أخرى في الليل، فإن أكل مات.

- لن يأكل. يسمونه ذا الشعر الأزرق! - قال الجد عيسى حزيناً، - هذا الذئب الأبله حساس جداً، لا يقترب من مكان فيه بندقية، ويشم رائحة الدواء (السم)، ويتجنب الفخ...

- سوف نرى، - قال الأخ قوجقار وهو هادئ، - لنذهب، وسنعود غداً في هذا الوقت.

ركبنا وذهب الأخ قوجقار والجد عيسى إلى المراعى، وذهبنا إلى الصيد ووعدنا أن نعود غداً...

... وصلت أنا وعمي باتشاخان إلى المكان الموعود مبكرين، وقد هطل الثلج على الأرض بمقدار شبر. وانحنت غصون الأشجار من ثقل الثلج، وعلى الثلج آثار الصيد...

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

ها هناك ثلاثة أو أربعة آثار أكبر من أثر الكلب، ربما لذئب. عندما وصلنا إلى مكان الجثة، فاجأنا حدث غريب: غطى الثلج جثة الجواد، ويبدو أن الذئب أكلت منها، فقد أتلفت الثلوج حول جثة الجواد، ومزقتها عندما سحبتها من طرف إلى آخر، وعلى بعد عشرة أمتار منها تجمد ذئبان مثل الشمع، أحدهما فوق الآخر، وذهبنا قليلاً فوجدنا ثالثاً تحت شجرة... لما رأينا كل هذا وصل الجد عيسى والأخ قوجقار.

- ماذا حدث؟ هل حدث شيء ما؟

- قُتل ثلاثة..

ذهب الجد عيسى وشاهد ثلاثة ذئاب وقال:

- أما قلت لكم؟ - ويهز رأسه، - ليس هنا ذو الشعر الأزرق. قام هذا الذئب الماكر بحيلة هنا أيضاً. ماذا سنفعل؟

- سوف نلاحقه. لن يغادر بعيداً ويترك الذئاب، لأنه تعود على هذا المكان، - قال الأخ قوجقار، - إضافة إلى أن هنا جثث جرائه.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

قال عمي باتشاخان: - لابد أن نلاحقه اليوم، فهو يتجنب الفخ، ولا يأتي إلى مكان فيه بندقية، ويشم رائحة الدواء، هناك طريقة. نوجه خلفه كلباً، والكلب يأخذه، ولن ينجو. يا منصور، اذهب إلى القرية، واحضر الكلب (آق شونقار)!

اتجهت إلى القرية لأحضر آق شونقار...

عندما عدت بـ «آق شونقار» كانت الشمس قد ارتفعت بمقدار شجرتين. أخذ عمي باتشاخان زمام آق شونقار وأعطاه للجد عيسى وقال:

- كما اتفقنا، أيها الشيخ.

وأخذ بندقيته ذات الطلقتين وأعطاه للجد عيسى، وقفز على جواده وأضاف:

- سوف توجه آق شونقار بعد إشارتي.

ركب الأخ قوجقار أيضاً على جواده بمهارة.

- لو كان فارس أو فارسان لكان جيداً، - قال الجد عيسى قلقاً.

- من أين نجد بضعة فرسان في ذروة الموسم هذه،

لا تقلق، أيها الشيخ، سوف ننجح، - قال الأخ قوجقار وهو يطمئن الجد عيسى، - علينا أن نجده أولاً.

- على كل حال... طيب، يوفقكم الله، - قال الجد عيسى ومسح وجهه بيديه، - مروا بدغل هناك.. إن لم يكن هناك، ابحثوا عنه في خميلة على شاطئ النهر، له جحر هناك.

جرى عمي باتشاخان والأخ قوجقار راكبين على جواديهما في اتجاه نهر بوريجار، وفي يد كل منهما هراوة، بقيت أنا والجد عيسى في المكان، وكان من الممكن أن نذهب نحن أيضاً، ولكن متى سمعتم عن أحد يلاحق ذئبا وهو راكب على حمار؟

دخل الفارسان في قعر دغل سريعاً، وتحول كل جسمي إلى أذن، ألتفت وأنظر إلى أي شيء يصدر صوتاً. تهب نسائم الربيع بهدوء. وبدأت أعشاب جديدة تنمو من تحت الأعشاب القديمة. حميرنا لا تقف في مكان وهي تأكل نبات الشيخ. ويرفع آق شونقار أذنيه وينظر حيث ذهب الفارسان كأنه يحس شيئاً ما. ومن حين إلى آخر

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

يخرج لسانه ويلعق شفثيه، ويقعى ويتحرك دون صبر...
عيون الجد عيسى تنظر في نهر بوريجار،
في السماء يطير طير أسود، وكأنه يسبح، وفي مكان
ما تغرد قبرة. في هذا الوقت سمعت أصواتاً تطرد، بدأت
أقلق، اهتزّ آق شونقار وهو ينظر حيث جاءت الأصوات،
والجد عيسى يكاد يسقط عن حماره، وصحح الجد نفسه
بسرعة، ولف زمام الكلب في يده ومسكه بقوة. أما آق
شونقار فيضرب الأرض ويحاول أن يسعى إلى الأمام.

فجأة خرج الذئب من الدغل القريب من النهر وبدأ
يقترّب من جهتنا، وهو يسرع، أما الأخ قوجقار وعمي
باتشاخان فقد تأخرا كثيراً. عندما اقترب الذئب منا صاح
الجد عيسى بصوت عال، ولم تبق عندي قوة لأصيح،
الحمد لله، سمع الذئب صوت الجد ومال إلى مراعي
ياسّي، وصل الفارسان اللاحقان سريعاً.

- الحقوه! من طرف واحد...

لاحقه الفارسان، وأصواتهما كأنها أصوات عشرة
أشخاص، أو خمسة عشر شخصاً. يلاحقانه في المراعي
وهما يصيحان بصوت عال، ابتعد الذئب والفارسان خلفه

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

بسرعة. يكاد الجد يفقد صبره ويقول:

- كان من المفروض طرده من طرف واحد.
- ماذا يحدث إذا طرده من طرف واحد، أيها الشيخ؟
- في هذه الحالة لا يستطيع أن يبتعد ويضيع طريقه ولن يغادر، - قال الجد ووضع كفه على جبينه، - لا تستطيع عيوني أن تراه... انظر، هل تراه؟
- نعم، ها هناك أحد الفارسين قطع طريقه.
- أحسن! الأمر سيكون هكذا.
- رجع إلى المراعى...
- جيد.. الفارسان في أي جهة من الذئب؟
- على يمينه. لماذا تسأل، يا أيها الجد؟
- سأقول فيما بعد.

دار الذئب واقترب من جهتنا مرة أخرى. في هذه المرة تمكنت أن أسيطر على نفسي، وبدأت أشاهده من قريب. إنه فعلاً، يناسب اسمه، ذو الشعر الأزرق، وهو فعلاً، كان كبيراً جداً مثل الحمار. سمعت عن الذئاب

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

كثيرا، ولكن لم أر ذئباً من قريب، ها هو اقترب من مكاننا، وقد أخرج لسانه، وبيتعد هارباً، وهو ينظر إلى الفارسين عن يمينه. في هذه المرة صحت بكل صوتي مع الجد عيسى، ويبدو لي أن ركض الذئب لم يعد خفيفاً مثلما كان في البداية، تعب الذئب في رأبي. دار مرة أخرى وهرب من نفس الطريق. بقي آق شونقار في مكانه مرة أخرى وهو يسعى إليه.

- ألا توجهه إليه، أيها الجد؟

- حتى يتعب تماما، ثم، - قال الجد وهو يحك ذقنه، - ستكون مهمة آق شونقار سهلةً، ويسمون هذا الذئب اللعين ذا الشعر الأزرق، قد يجرح آق شونقار.

لما دار الذئب مرة ثالثة، رفع عمي باتشاخان قبعته وهو ينظر إلينا، وفتح الجد عيسى الزمام من طرفه، وخرج الحبل من الحلقة على رقبة كلب الصيد وبقي في يد الجد عيسى، وقفز آق شونقار إلى الأمام، وسرعان ما لحق الذئب ذا الشعر الأزرق، وعضه من مؤخرته، ونظر الذئب إلى الوراء وصاح وواصل جريه كأن لم يحصل شيء، أصبح أنا ويصيح الجد عيسى ونحث حميرنا ونلاحقه.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

- والآن انتقلا إلى الجانب الأيسر! تشجنت رقبتة، -
يقول الجد عيسى وهو يصيح ويحث حماره.
- انتبها، لا يهرب! هذا اللعين خطير جداً!
- لن يهرب، قطع آق شونقار رجله الخلفية.
- والآن نطلق عليه رصاصاً، أيها الشيخ، أعطني
البندقية!

أخذ الجد عيسى البندقية وأعطاها لعمي
باتشاخان. عندما صوب عمي البندقية أغلقت عيني من
غير إرادة، أطلقت طلقتان متتاليتان، وصاح الذئب
صيحة قصيرة وسكت. عندما فتحت عيني وجدت الذئب
ذا الشعر الأزرق مغطى بدمه مستلقياً بين الأشجار ...

هكذا انتهى عمر الذئب الوحش الذي أقلق الرعاة
في مراعى ياسي، وظهرت الابتسامة على وجه الجميع،
وأخذ الجد عيسى سكينه ليسلخ جلد الذئب ذي الشعر
الأزرق...

* * *

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004

مصادر ملف الأدب الأوزبكي

1) فن القصة في الأدب الأوزبكي واتجاهات تطوره؛ ن. محمودوف، وق. قهرمانوف؛ مختارات من القصص الأوزبكية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، 1997م. ص 5-13.

2) الصور التي رسمتها زولفيا؛ مشرب باباييف، مقال من كتاب "تكريم المرأة"، دار «أوزبكستان» للنشر، طشقند، 1999م، ص 178-184.

● قصائد

3) الجميلة؛ جوليان، قصيدة، المرجع السابق، ص 92-93.

4) لا ينتهي القلب؛ إيركين وحيدوف، قصيدة، المرجع السابق، ص 99.

5) قصائد من «دفتر الحج»، عبدالله عاروف، «العبادة»، مجموعة شعرية، دار «يازوفجي» للنشر، طشقند، 1996م. ص 12، 13، 23.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

6) قصائد، محمد يوسف، من مجموعة شعرية «أخذك إلى سمائي»، دار «يازوفجي» للنشر، طشقند، 1998م. ص 8، 27، 68، 69، 116-119.

7) قصائد، محمد علي؛ من كتاب «المختارات»، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، 1997م. ص 29، 125-126، 199، 207-208.

8) قصيدتان، أيدين حاجييفا؛ من كتاب مجموعة شعرية وقصصية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، 1998م. ص 17-18.

● قصص قصيرة

9) الزار، عبدالله قادري، مختارات من القصص الأوزبكية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، 1997م. ص 16-20.

10) أيها الولد اللص، غفور غلام، المرجع السابق. ص 31-35.

11) معلم الآداب، عبد الله قهار، المرجع السابق. ص 37-40.

12) عصيان الكنائن، سيد أحمد، المرجع السابق. ص 42-50.

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425هـ ، يونيو 2004

- (13) أمانة القيامة، أولماس عمريكوف، المرجع السابق. ص 107-114.
- (14) الصف، خورشيد دوست محمد، المرجع السابق. ص 243-246.
- (15) المسألة الحساسة، فرهاد موسى جانوف، المرجع السابق. ص 102-105.
- (16) الجد والحفيد، طاغي مراد، المرجع السابق. ص 216-219.
- (17) الوليمة، أوتكير هاشيموف، من كتاب «المختارات»، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، 1998م. ص 626-630.
- (18) رمضان، آيدن حاجييفا، من كتاب مجموعة شعرية وقصصية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، 1998م. ص 226-228.
- (19) الثلج الأبيض، آمان مختار، مختارات من القصص الأوزبكية، دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، 1997م. ص 157-160.
- (20) ذو الشعر الأزرق، ناصر فاضلوف، مختارات من القصص الأوزبكية،

نوافذ (28)، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004

دار «الشرق» للطباعة والنشر، طشقند، 1997م. ص 95-100.

* * *

ملحة:

* فن القصة القصيرة
في الأدب الأوزبكي
واتجاهات تطوره
* الصور التي رسمتها
زولفييا

قصائد

* الجميلة

* لا ينتهي القلب

* قصائد من «دفتر الحج»

* رسالة إلى أمي

وقصائد أخرى

* قصائد

* قصيدتان

قصص قصيرة

* الـزار

* أيها الولد اللص

* معلم الآداب

* عصيان الكنائس

* أمانة القيامة

* الوليـمة

* الـصف

* المسألة الحساسة

* رمـضان

* الجد والحفيد

* الثلج الأبيض

* ذو الشعر الأزرق

- 1 - تنشر **نوافذ** النصوص الإبداعية (شعر، قصة قصيرة، مسرحية)، والدراسات النقدية المترجمة من لغات العالم الحية.
- 2 - ترحب **نوافذ** بالنصوص المترجمة من آداب الشعوب الإسلامية، وآداب العالم الثالث.
- 3 - تؤكد **نوافذ** على ضرورة إرسال نسخة من النص المترجم.
- 4 - ترسل مواد النشر إلى تحرير **نوافذ** على عنوان النادي.

■ تابع قصص قصيرة :

المترجم	115 معلم الآداب
د. مرتضى سيد عمروف	عبدالله قهار
جامعة الملك سعود	123 عصيان الكنائس
جامعة طشقند	سيد أحمد
للدراستات الشرقية	143 أمانة القيامة
لوحة الضراف:	أولماس عمريبيكوف
الثورة الوطنية،	161 الوليامة
حركة التجديد.	أوتكير هاشيموف
تاريخ الرسم: 2000.	171 الصصف
الفنان الأوزبكي:	خورشيد دوست محمد
عليشر عليقولوف	179 المسألة الحساسة
من مواليد 1966.	فرهاد موسى جانوف
رقم الإيداع 14/0513	187 رمضمان
	آيدن حاجييفا
	193 الجسد والحفيد
	طاغي مراد
	201 الثلج الأبيض
	آمان مختار
	209 ذو الشعر الأزرق
	ناصر فاضلوف

النادي الأدبي الثقافي بجدة
الإدارة: حي الشاطئ - جدة ص.ب: (5919)
جدة (21432) فاكسميلي: 6066695
هاتف: 6066122 - 6066364
E-Mail: nawafidh@hotmail.com

■ مقالات :

- 9 فن القصة القصيرة في الأدب الأوزبكي واتجاهات تطوره
..... أ. نظام الدين محمودوف ود. قُرداش قهرمانوف
- 31 الصور التي رسمتها زولفيا..... مشرب بابايف

■ قصائد :

- 45 الجميلة جوليان
- 49 لا ينتهي القلب إركين وحيدوف
- 51 قصائد من «دفتر الحج» عبدالله عاريفوف
- 56 رسالة إلى أمي وقصائد أخرى محمد يوسف
- 72 قصائد محمد علي
- 85 قصيدتان أيدين حاجييفا

■ قصص قصيرة :

- 93 الزار
عبدالله قادري
- 104 أيها الولد اللص
غفور غلام